رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفقهاء والسلطة

وصناعة الحياة

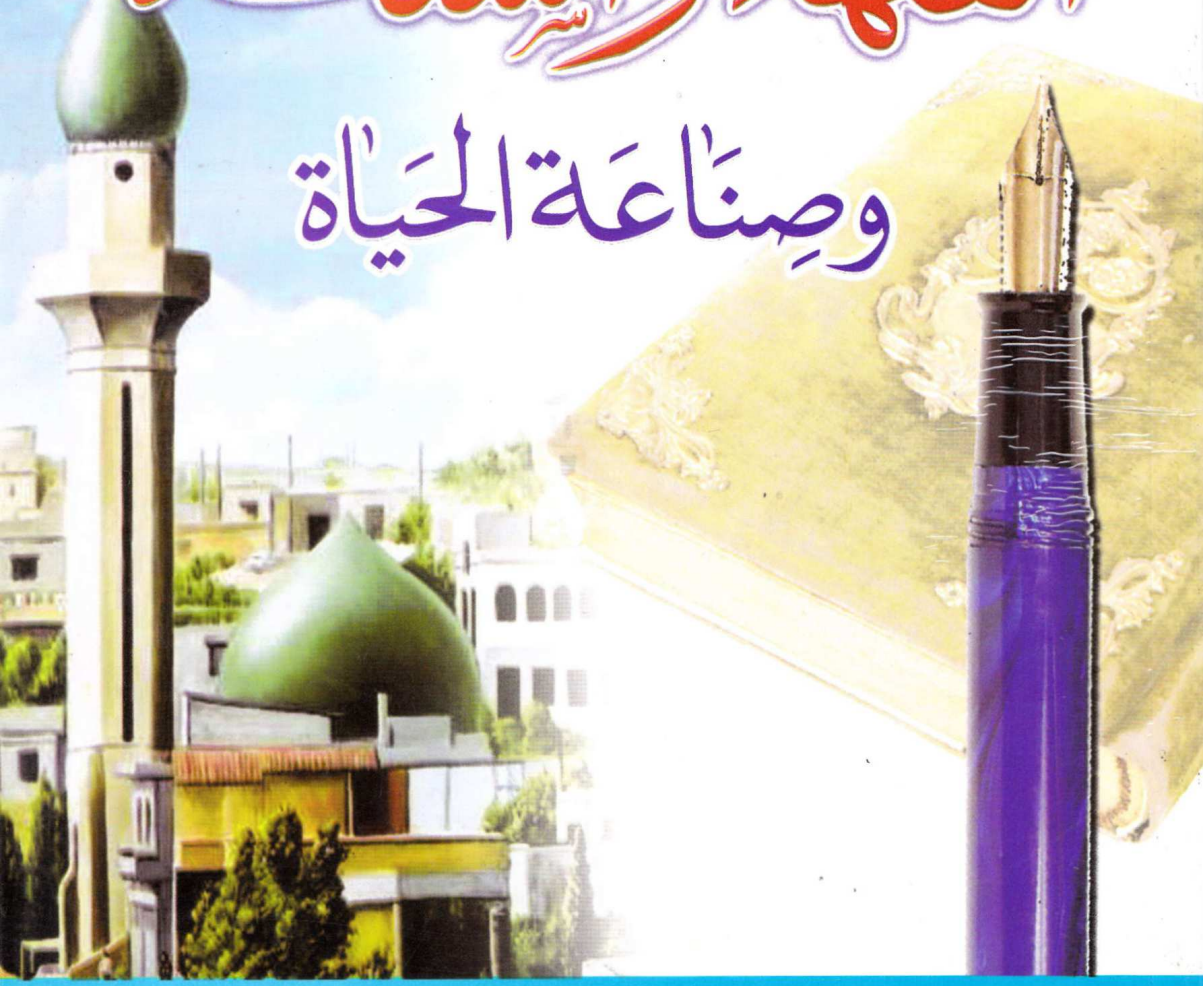

الدكتور
رعد محمود أحمد البرهاوي

دار الكتاب الثقافي
الأردن - اربد

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفقهاء والسلطة

وصناعة الحياة

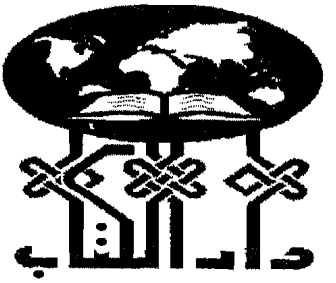

بسم الله الرحمن الرحيم

محفوظة جميع الحقوق

للنّاشر

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م

الطبعة الأولى

دار الكتاب الثقافي

للطباعة والنشر والتوزيع

الأردن / إربد

شارع إيدون إشارة الإسكان

تلفون

(٠٠٩٦٢-٢-٧٢٦١٦١٦)

فاكس

(٠٠٩٦٢-٢-٧٢٥٠٣٤٧)

ص.ب (٢١١-٦٢٠٣٤٧)

Dar Al-Kotab

PUBLISHERS

Irbid - Jordan

Tel:

(00962-2-7261616)

Fax:

(00962-2-7250347)

P. O. Box: (211-620347)

E-mail:

dar_ alkitab1@hotmail.Com

حقوق الطبع محفوظة © ٢٠٠٧م. لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

دار المتنبي للنشر والتوزيع

الأردن – إربد – تلفاكس: (٧٢٦١٦١٦)

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفقهاء والسلطة
وصناعة الحياة

الدكتور
رعد محمود البرهاوي

دار الكتاب الثقافي
الأردن - إربد

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم، بما يكون الموضوع الذي هو قيد التناول قد كتب عنه الكثير، ولكن ما يدفعني إلى الاجتراء على الكتابة فيه حال الأمة التي تعاني من الأمية الدينية[1] وضياع الرؤية وفقدان تسلسل الأوليات وفقه الأولويات، وتوالي الهزائم السياسية والعسكرية، ساعدت على ذلك حالة التناحر الداخلي التي تسود الساحة الإسلامية، وضعف الصلة بين الفقهاء والسلطة والشارع الإسلامي، فأجدبت الحياة وكان الضعف والهوان.

ركن معظم الفقهاء في مساجدهم إلى الدعة وأداء الفرائض، وما وظفتهم الدولة من أجله من خطابة وإمامة برتابة مملة نفرت منهم جماهير المسلمين فخلت الساحة إلا ممن رحم ربي ممن يقوم بواجب التعليم والإرشاد وقيادة الأمة وشد أزر الحكام المؤمنين.

وإذا كان البعض ضمن منطق تسهيل[2] الأشياء وتيسيرها يميل إلى إلقاء اللوم على الأعداء من صهاينة وصليبيين من شرق وغرب فضلاً عن أعوانهم الذين سرقوا السلطة في معظم أقطار أمتنا من أصحابها الشرعيين فان المسؤولية يتحملها الجميع.

الغرب بقيادة الصهيونية الصليبية يعقد المؤتمرات تلو المؤتمرات[3] التي تدرس الصحوة وخطورتها والتخطيط لمواجهتها، سموها الخطر الأخضر على وزن الخطر الأحمر

---

(١) الأمية الدينية : هي جهل مسلمي اليوم في معظم أقطارهم بفرائض دينهم وحلاله وحرامه نتيجة للنظام التعليمي الذي وضع أساسه المحتل سواء كان إنكليزياً أو فرنسياً أو إيطالياً، والذي لا يزال في معظم الأحيان بصورة أو بأخرى على حاله على الرغم من الاستقلال، وتدرس فيه مادة الدين بصورة سطحية وهامشية ولا تلقى الاهتمام الذي تلقاه المواد الأخرى.

(٢) هناك من يعقد الأمور ويخلط الأوراق ويقول لنا انكم تبحثون عن حل لا وجود له، فالتجربة الإسلامية لم تطبق إلا في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ﷺ واستثناءات قليلة عبر التاريخ الإسلامي، وهذا وهم وتجنٍ على الواقع والتاريخ الإسلامي.

(٣) في مؤتمر تنصير المسلمين السري الذي عقد في الولايات المتحدة عام ١٩٧٨ تسرب منه من المقررات إنشاء معهد التدريب والبحوث الإسلامي الإنجيلي والذي سيقام في باسادينا بولاية كاليفورنيا الأمريكية وهدفه الرئيس (استمالة المسلمين الذين لم تتم استمالتهم نحو المسيح) واستخدام الأساليب الحساسة من الناحية الثقافية بالنسبة للمسلمين من واقع ثقافتهم.
ينظر احمد فون دنفر، التحديات الثقافية المعاصرة التي تواجه الأمة الإسلامية، الإسلام والحضارة أو دور الشباب المسلم، أبحاث ووقائع اللقاء الرابع لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي : ٢/ ٨٢-٨٣ .

الشيوعي والخطر الأصفر الصيني، فصحيفة دي فيلت[1] الألمانية تعقد ندوة برئاسة مستشار ألمانيا السابق هيلموت شميث تحدث فيها أكاديميون ومفكرون من مشارب شتى عن الصحوة، وكيفية تقييم اتجاهاتها وإمكانية مد الجسور معها للحفاظ على المصالح الغربية، وعلى الصعيد العملي أنشأ الجيش الأوربي من وحدات ألمانية وفرنسية وإيطالية وبلجيكية، واعتبر انضمام إسبانيا في تموز ١٩٩٤ حدثاً مهماً كما قال قائد هذا الجيش لأنها الجسر الذي يوصل أوربا إلى مركز البركان المنتظر وهو المغرب العربي، حيث الخطر الذي يهدد السواحل الجنوبية والغربية للقارة حسب زعمهم، وقرر مؤتمر حلف الأطلسي الذي عقد في شباط ١٩٩٥ أن يدرس وضع الخطط لمواجهة الخطر بالتعاون مع القيادات العربية العلمانية السائرة في فلكهم.

ان موقف الغرب وما يحدث الآن في العراق والسودان وليبيا والجزائر ومصر والبوسنة والهرسك والشيشان وألبانيا وكوسوفو يعطي صوراً واضحة على النفاق السياسي والعداء التاريخي الذي يعيد صورة الحشد الذي قامت به أوربا وعلى رأسها البابا أربان الثاني للحملة الصليبية الأولى عام ٤٩١ هـ - ١٠٩٥م. لقد أخذت الأقنعة العلمية والأكاديمية المزيفة تتمزق لتظهر الوجه الكالح لبطرس الناسك وجودفري وكل الرهبان والكونتات الذين حملوا الصليب على أكتافهم زوراً وبهتاناً من أجل اغتصاب أراضينا وانتهاك أعراضنا وقتل أطفالنا ونسائنا وشيوخنا وإقامة ممالكهم على أراضينا وهاهو شيراك المحافظ، وتوني بلير العمالي وكلنتون الديمقراطي يقدمون صوراً مكررة من هؤلاء.

---

(١) جاء في وثيقة سرية بعث بها رئيس وزراء بريطانيا جون ميجر إلى وزير الدولة للشؤون الخاصة البريطاني (دوغلاس هيغ) ونشرتها الصحافة التركية، وكذلك الصحافة الاندنوسية، ولا بأس في سرد ما جاء بها :

(اننا لا نؤيد في الوقت الحاضر ولا في المستقبل تسليح المسلمين في البوسنة والهرسك أو تدريبهم. سنواصل الإسهام في فرض المقاطعة التسليحية للأمم المتحدة على هذه المنطقة ونحن على إطلاع تام على ان اليونان وبلغاريا وروسيا تقدم أسلحة وتدريبات لصربيا فيما تبذل ألمانيا والنمسا وسلوفانيا وحتى الفاتيكان جهوداً مماثلة ضد المسلمين مع الكروات ... سنواصل هذه السياسة حتى تتوضح النتيجة النهائية لهذا الوضع أي عند تقسيم البوسنة والهرسك وتدميرها حتى لا تبقى إمكانية لقيام دولة إسلامية في اوربا ... هذه دبلوماسية واقعية من أجل أوربا مستقبلية تقوم قيمها على أساس (حضارة مسيحية).

د. علي حسون، محنة المسلمين في البلقان، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٩٧ : ص٢٣٠-٢٣١.

— واقعنا المعاصر :

يقف معظم الفقهاء اليوم صامتين باستثناء قلة مؤمنة مجاهدة تذكرنا بالرعيل الأول من أصحاب الرسول ﷺ حيال المشكلات الجاثمة فوق صدور أوطانهم، مشكلات التنمية الاقتصادية، ومشكلات إعادة السلطة إلى الأمة وانبثاق مؤسسات الشورى، وطرق الانتخاب بدل دكتاتورية البندقية، ومشكلات التغيرات الاجتماعية، ومشكلات التكنولوجيا وعلاقتها بالحياة اليومية، ووسائل الإعلام وكيفية أسلمتها، ومما يثير الأسى أن بعضهم ان صمت فدهراً وان نطق فكفراً فـ (لا) و(حرام) جاهزة دائماً وأبداً، وان أجاب على سؤال يعيشه إنسان عام ١٩٩٩، فسيكون الجواب من أحد الشروح أو المتون التي ألفت في القرن السابع أو الثامن أو ما بعده.

— الفقه المطلوب :

ان مجتمعنا الإسلامي من طنجة إلى جاكرتا وهو يتعامل مع عالم متغير متطور بحاجة إلى فقه حضري يربط الحياة اليومية بالكتاب والسنة ويهيئ الوسائل العلمية لكي يسير قطار الحياة على سكة إسلامية وبالرغم من ذلك لا تزال بعض الاجتهادات الفقهية المتزمتة تطرح نفسها ممزوجة بطروحات خارجية[1] ممقوتة. ويتناسى أنصار هذا الفقه أن الطائرة قد حلت محل الجمل، وأن ناطحة السحاب حلت محل الخيمة، وأن الوقت ثمين له قيمة وأية قيمة، وان العمل عبادة.

نحن اليوم بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى إقامة تعاون أوثق بين الفقهاء والتخصصات الدقيقة، ان الطبيب والاقتصادي وعالم الكيمياء والمخرج السينمائي ... قد يدرسون الفقه بشكل أو بآخر ويكونون لهم خلفية فقهية، إلا أن الفقيه لا يمكن أن يستوعب كل هذه العلوم التي تحتاج إلى وقت طويل فضلاً عن انه قد مضى زمن العلماء الموسوعيين الذين ظهروا في العصور الأولى.

ان الفقيه اليوم بحاجة ماسة إلى مد الجسور مع الاقتصاديين من أجل تقديم حلول لمشكلات الأمة الاقتصادية تجمع بين شرع الله والعلم، ألم يكتب الإمام أبو يوسف كتابه الشهير (الخراج) في السياسة المالية للدولة العربية الإسلامية في عهد الرشيد العباسي[2].

---

(١) أي انها متأثرة بتطرف حرمات الخوارج الذين ظهروا بعد صفين وشكلوا بؤرة التطرف عبر حركات فكرية مسلحة لمدة طويلة كانت تبيح دماء المسلمين وأموالهم بحجة انهم مشركون.

(٢) ينظر أبو يوسف، الخراج : ص٣.

لابد من تقارب بين الفقه والطب من أجل التفريق بين ما هو معقول ومقبول وما هو غير معقول ومقبول من إنجازات الثورة الطبية من نقل الأعضاء وزرعها والهندسة الوراثية وغيرها...

الفقيه اليوم بحاجة إلى أن يسمع ويرى ويعايش ويقرأ واقع الحياة سواء على مستوى وطنه الصغير أو الكبير أو على مستوى العالم، لكي يقدم من خلال ذلك كله خطبة الجمعة للجماهير المؤمنة متضمنة الرؤية الصحيحة والتوجيه السديد والواقعية، وليس خطباً عصماء مسجوعة تثير التثاؤب والنعاس لسذاجتها وسطحيتها لكي تنتهي بالدعاء بأن يضرب الله الظالمين بالظالمين ويخرجنا منهم سالمين.

الفقيه اليوم بحاجة إلى دراسة الفن من سينما ومسرح ورسم، وما يرتبط بها من إخراج وتمثيل ومدارس فنية لكي يعرف كيفية الاستفادة من الشاشتين وحلبة المسرح ومعارض الرسم ودورها المتعاظم في تشكيل الأفكار والسلوكيات، بعد أن نجحت الشاشتان في تهميش الكتاب والصحيفة والمجلة نتيجة لسهولة المعلومات المقدمة وجذابيتها وان تلقيها لا يحتاج إلى جهد كبير، ان الجماهير اليوم تريد معرفة ما يجري مسموعاً ومنظوراً وليس مقروءاً فقط ... اذن نحن بحاجة إلى الحد من قراءة الشروح والمتون التي تراكمت كالتلال في القرون التي أعقبت القرن الخامس، والاستعانة بالعقول الجماعية وليس الفردية. وهي متوافرة والحمد لله في دور العلم الإسلامية من إندونيسيا والهند وباكستان إلى تركيا والعراق والحجاز والشام واليمن ومصر والغرب العربي وحتى الساحتين الأوربية والأمريكية من خلال العلماء المسلمين الذين استقروا هناك لسبب أو لآخر.

ان العلم الحديث بما وفره من أجهزة الكمبيوتر والإنترنت والعقول الإلكترونية يستطيع بالتعاون مع العقول المذكورة آنفا والاستفادة من التراث الفقهي الثر للأمة أن يقدم الكثير من الحلول في مدة زمنية قصيرة تثير الذهول ....

- لمحة تاريخية :

لقد شهد تاريخنا بصراحة صراعاً بين عالمين، عالم المثاليات وعالم الواقع بأبيضه وأسوده وجماله وقبحه، كانت هناك حساسية في أحيان كثيرة بين السلطة والعلماء، وفجوة بين الواقع والنظرية بالرغم من أنهما يتوليان نفس المسؤولية وهي ولاية الأمر على الناس[1].

لقد أدى الانعزال عن السلطة، والتعامل معها بروح سلبية إلى كوارث في تاريخنا الإسلامي فكارثة فتنة خلق القرآن على الأرجح كانت أو على أقل تقدير لم تكن لتصل إلى ما وصلت إليه من إرهاب فكري ومادي طال النخبة من رجال الفقه والحديث لو ان هؤلاء كانوا على اتصال بالمأمون ولم يتركوه فريسة للمعتزلة بحجة انه فاسق[2] وهو الخليفة المتفتح الذهن المحب للعلماء وكما يبدو من خلال سيرته، فالمسعودي[3] يشير إلى انه يقابل الفقهاء في يوم الثلاثاء من كل أسبوع[4] وقد حضر مجلسه العلمي هذا في إحدى المرات أحد الخوارج جاء بغداد ضمن وفد مكون من ستة عشر رجلاً وقد ناظر المأمون في شرعية سلطته ويلاحظ أن المأمون أجابه إجابة متأنية قال فيها أنه تولى السلطة بعقد من سلطان قبله (حمده المسلمون إما على رضا أو على كره وانه تولى الأمر خوفاً من الفتنة وتعطل أحكام الله والقيام بأمر الحج وإنصاف المظلومين إلى أن يجتمع المسلمون على رجل تتفق كلمتهم على الرضا به فأسلم الأمر إليه وأكون كرجل من المسلمين) وبغض النظر عن مدى مصداقية المأمون في إجابته إلا انها تدل في مصطلحاتنا اليوم على دبلوماسيته ومرونته واحترامه لرأي الآخر.

نتساءل ما هو دور النخبة الإسلامية في مواجهة طغيان وانحراف ان لم نقل إرهاب بعض أنظمة الحكم في دار الإسلام الذين حولوا الحياة في مجتمعاتهم إلى سجون كبيرة[5] أو في معالجة السلوكيات المنحرفة للمجتمع سواء على الصعيد الاجتماعي من انتشار

---

(١) ذكر ابن العربي أن أولياء الأمور هم الأمراء والعلماء، في حين يرى ابن القيم انهم العلماء لان الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم فطاعتهم تبع لطاعة العلماء فكما ان طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء. الأحكام : ١/ ٤٥٢ ؛ ابن القيم، اعلام الموقعين: ١/ ١٠ .

(٢) القاضي عياض، ترتيب المدارك : ٤/ ٥٨٩-٥٩٠.

(٣) مروج الذهب : ٤/ ١٩-٢٠.

(٤) يشير الغزالي إلى انه كان له يومان في الأسبوع يجلس للمناظرة مع الفقهاء والعلماء، ينظر التبر المسبوك : ص١١٩.

(٥) يفسر ابو حيان الغرناطي حديث المصطفى ﷺ (الدنيا سجن المؤمن) ان السجن موضع الخوف ... ولا يكون ذلك الا مع عدم العدل وكثرة الجور والظلم وقلة المال والخصب. تحفة الألباب : ص٤٧.

الخمر والزنا واللواط واللصوصية (العيارون والشطار) فضلاً عن الأفكار الهدامة ولا سيما الحركات الباطنية التي أشاعت الإلحاد والكفر والانحراف العقائدي عند العامة ولا سيما في الأرياف[1] والتي أخذت في الانتشار منذ القرن الرابع الهجري ؟ .

أمْ على صعيد مواجهة الأخطار الخارجية، والتي تمثلت في العدوان الصليبي والمغولي، وعلى هذا الصعيد لا يوجد ما يدل على ظهور استجابة واسعة النطاق ينتظر منها تحرك المياه الراكدة في مجتمع دار الإسلام آنذاك في مواجهة الأخطار المحدقة بالأمة. الاستجابة جاءت من النخبة العسكرية التركية التي حشدت الجهود المبعثرة بذكاء مدعومة من مجموعة من الفقهاء الأفذاذ كما هو الحال في العهدين الزنكي والأيوبي، إلا ان النخبة العسكرية المملوكية التي خلفت الأيوبيين بالرغم من نجاحها العسكري في صد ودحر الخطرين المغولي والصليبي إلا انها تفتقر إلى البصيرة الإسلامية لمعالجة الوهن والانحراف، وهو مما لابد منه لصنع الحياة كما أرادها الله سبحانه وتعالى.

أليس من المضحكات المبكيات أن يسأل هولاكو علماء بغداد في المدرسة المستنصرية عن أيهما أفضل السلطان المسلم الجائر أم السلطان الكافر العادل ؟ وقد أجاب رضي الدين بن طاووس نفضل الكافر العادل على المسلم الجائر وأيده بقية الفقهاء[2] . نتساءل متى يجتمع الإسلام والجور ؟ حاشا لله أن يجعل مع الإسلام الجور، إلا أن الكثيرين الذين تسموا بأسماء إسلامية وأحاطوا أنفسهم بوعاظ الشياطين حاولوا أن يسوّغوا أعمالهم باسم الإسلام والإسلام منها براء ويشير الدوري[3] إلى أن العلماء أجابوا هولاكو تحت الإكراه وقد ساعدت هذه الفتوى على نجاة بغداد من الدمار التام.

ان تحول معظم الفقهاء في تاريخنا الإسلامي إلى أبواق لترديد تخرصات الحكام الظلمة وتسويغ أعمالهم وإغداق الألقاب التي ما أنزل الله بها من سلطان عليهم. والدعاء الحار ساهم في صنع واقعنا الحالي، جاء الناصر لدين الله العباسي ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م ببدعة الفتوة بما حوته من طقوس غريبة عن الإسلام وممارسات تشمل ارتداء سراويل وشرب كأس الفتوة ورمي البندق،

---

(١) ان منطقة السواد الممتدة من جنوب بغداد إلى البصرة كانت المكان الذي شهد ظهور حركات الزنج والقرامطة، وكان الظلم الاقتصادي والاجتماعي الذي شهدته المنطقة فضلاً عن إسلام الآراميين والسريان من سكان المنطقة السبب في جعلها الموطن الخصب لهذه الحركات الهدامة.

(٢) ابن طباطبا، الفخري : ص١٧.

(٣) الدوري، بغداد : ص١١٨.

فطبل لها الفقهاء[1] والحكام على السواء إلا من رحم ربي. ولم يتحرك إلا القليل لمجابهة هذه الفتوة المزعومة التي لم تشارك في التصدي لقوى الغرب وهي تحاول تحطيم الإسلام عبر الهجوم الصليبي على الشام ومصر والأندلس والمغرب[2] كما لم تشارك هذه الفتوة المزعومة في إعادة بناء الداخل الإسلامي والاستعداد للخطر الذي أخذ يطل من جهة الشرق[3] والمتمثل بالمغول، كانت فتوة الناصر ببساطة محاولة هشة وساذجة لدعم خلافة تحتضر منذ أمد طويل. جاء التصدي من فقهاء الشام ومصر، فقد أفتوا بتحريمها وقد ورد ضمن فتوى ابن الوردي[4] (فقد غاضني حتى هاضني وأخْنَقَني حتى خَنَقَني ما أحدثه أهل الجهل والابتداع وسكت عنه العلماء حتى شاع في الرعاع ... البدعة التي يجب إخفاء رسمها والمنكرة المعروفة بالفتوة وهي ضد اسمها، وكيف لا وقد عكف عليها أتباع الضلالة ودعا إليها الحمقى وأهل البطالة، يجمعون لها الجموع والأنباط ويحضرها المرد وأهل اللواط فمنهم من يتصابى على سنه ومنهم من يمشي على بطنه ...).

ان امتناع العلماء عن تولي المناصب قد كان له أحياناً ما يسوّغه، إلا انه في أحايين كثيرة كان غير مسوّغ، بل تقصيراً بحق دينهم وأمتهم حتى أصبحت حالات من امتنع عن تولي القضاء وغيرها من المناصب يستفتح بها المؤلفون الذين ترجموا للقضاء كتبهم[5] ولكي نكون أكثر دقة فان تاريخ مسلمي الأندلس كان مميزاً بإيجابيته في هذا المجال فقد كانوا أقل حساسية من إخوانهم المشارقة، ربما لأن تسلسل الأحداث في تاريخهم لم يأخذ

---

(١) لم ينج الفقهاء من ارتداء ملابس الفتوة التي كانت تعدّ تشريفاً لهم. مجهول، الحوادث الجامعة : ص٩٠-٩١ ؛ المقريزي، السلوك قسم١، جـ١ : ص١٧٢.

(٢) لم يساهم الناصر لدين الله بشكل إيجابي في دعم القيادات التي تصدت للصليبيين ومثال على ذلك لم يعرف عنه مساهمته بالمال أو بالرجال في دعم صلاح الدين الأيوبي سوى عبر حملين من النفط وخمس من الزراقين وقرض مقداره (٢٠) ألف دينار، وقد قبل صلاح الدين النفط والزراقين واعتذر عن قبول النقود. ينظر للمزيد، دريد عبد القادر، سياسة صلاح الدين : ٣٦٩-٤٠٦.

(٣) وفي هذا المجال توجه أصابع الاتهام إلى الناصر لدين الله بالتآمر والتواطؤ مع المغول ضد الدولة الخوارزمية.
ينظر للمزيد عن هذا الموضوع ما بين متهم ومدافع. ابن الأثير، الكامل : ١٢/ ٤٠، مهند، تاريخ العراق : ص٧٣-٧٦، المقريزي، السلوك، جـ١، قسم١ : ص٢١٨.

(٤) تاريخ : ٢/ ١٩١.

(٥) وكيع، أخبار القضاة : ١/ ٥٤، ٣٠ ؛ السيوطي، حسن المحاضرة : ١/ ٣٠٢.

نفس السياقات... وهكذا ظهر الوزير الفقيه[1] والفقيه قاضي الجماعة، والفقهاء في شورى الجماعة والفقيه القائد والفقيه صاحب الشرطة والسوق والمظالم وغيرها من المناصب التي لها علاقة صميمية مع واقع الحياة اليومية[2].

ان الخطأ جاء من كون مرهفي الإحساس من أئمتنا نظروا إلى ولاة الأمور على أساس انهم غير شرعيين ومغتصبين للسلطة فلا يجوز التعاون معهم ونسوا أن الحياة اليومية تحتاج إلى من يطبق فيها شرع الله، وترتب على هذا الموقف أن صمت معظم العلماء، مما أدى إلى التضحية بقضية انحراف الحكام من أجل ما يسمى بسلامة الأمة جسداً وأرضاً[3] وقيل بحكم الحاكم الظالم والمفسد ما دام يحمي دار الإسلام، بل ان سلطاناً ظلوماً غشوماً خير من فتنة تدوم[4]، ان هذا المنطق المعوج أصبح حسب إدعاء الملطي[5] من أصول أهل السنة وحاشاهم من ذلك فهو يدعي أنه يجب (الصبر تحت لواء سلطن على ما فيه من جور وعدل ولا يخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا).

لقد ترتب على هذا الموقف أن أصبحت الأمة تنظر إلى بعض حكامها الظلمة على انهم أقدار إلهية يجب عليها أن تنصاع لفسقهم وجورهم وظلمهم، فضلاً عن ان صمت معظم الفقهاء وتواطُؤ بعضهم قد اضطر بعض العلماء الربانيين مثل عبد الله فروخ ت ١٧٥هـ/ ٧٩١م[6] إلى التراجع عن آرائه التي تعبر عن الإسلام قرآناً وسنة في ضرورة الخروج على أئمة الجور، إذ اجتمع معه مثل عدة أهل بدر للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نتيجة ضغوط فقهاء عصره كان جهاد الظالمين أصبح من الموبقات التي يجب أن يتوب منها الصالحون[7].

ان الفقهاء الأول ممن تربوا في مدرسة الصحابة والتابعين ظلوا يشربون من ذلك المنهل الصافي فها هو أبو حنيفة الفقيه المجاهد وهو يرى أن البديل العباسي للحكم الأموي ليس أفضل منه إن لم يكن أسوأ حسب المنظور الإسلامي فيفتي بأن دعم ثورة

---

(١) الشنتريني، الذخيرة : القسم الثاني، المجلد الأول : ٣/ ٢٨٥-٤٥٢.
(٢) القاضي عياض، المصدر السابق : ٣/ ١٣٦-١٣٧، ٥/ ٦٣٥، ٧٣٦.
(٣) أكرم العمري، قيم المجتمع الإسلامي، مقدمة عبيد حسنة : ص١٤-١٥.
(٤) اليعقوبي، تاريخ : ٢/ ٢١١.
(٥) التنبيه : ص٢٤.
(٦) ينظر ترجمته : القاضي عياض، العدد السابق : ١/ ٢٤٦ ؛ المالكي، رياض النفوس : ص١١٣.
(٧) القاضي عياض، المصدر السابق : ١/ ٣٤٦.

إبراهيم بن عبد الله بن الحسن[1] ضد المنصور أفضل من جهاد العدو على حدود دار الإسلام[2] وكان تأييده العلني لهذه الثورة هو السبب الحقيقي لاعتقاله لكي يتوفى شهيداً في سجنه عام ١٥٠هـ/ ٧٦٧م[3].

بعد هذا كله إذا رجعنا إلى الحكم العدل الذي لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه ألا وهو كتاب الله نجد أي فضاء رحب قد أعده الله للفقهاء في صياغة وصناعة الحياة بكل تفاصيلها انظر إلى قوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[4] فالإمام القرطبي[5] يشير إلى أن هذه الآية تبيح للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر والسلطان الجائر بشرط أن يفوض إليه في فعل لا يعارضه فيه، فيصلح منه ما يشاء، وأما إذا كان عمله بحسب اختيار الفاجر وشهواته وفجوره فلا يجوز ذلك، وان قال قوم ان هذا كان ليوسف خاصة وهذا اليوم غير جائز والأول أولى إذا كان على الشرط الذي ذكرناه ودلت على جواز أن يطلب الإنسان عملاً يكون أهلاً له، بل ان القرطبي يذهب أبعد من ذلك فيقول : (لو علم إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق في القضاء والحسبة ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه لتعين ذلك عليه، ووجب أن يتولاها ويسأل عن ذلك ويخبر بصفاته التي يستحقها به من العلم والكتابة وغير ذلك).

ويسير الشوكاني على المنوال نفسه[6] في تفسير الآية فهو يشير إلى أنها (دليل على أنه يجوز لمن وثق من نفسه إذا دخل في أمر من أمور السلطان أن يرفع منار الحق ويهدم ما أمكنه من الباطل طلب ذلك لنفسه، ويجوز له أن يصف نفسه بالأوصاف التي لها ترغيباً فيما يرومه وتنشيطاً لمن يخاطبه من الملوك بإلقاء مقاليد الأمور إليه وجعلها منوطة به).

---

(١) ينظر للمزيد عن ثورة محمد ذي النفس الزكية في الحجاز وأخيه إبراهيم في البصرة. الطبري، تاريخ : ٧/ ٥٢٢-٦٠٩، ٦٢٢-٦٤٩.

(٢) ياقوت، معجم الأدباء : ١/ ٢١٥.

(٣) الخطيب، تاريخ بغداد : ٣/ ٢٢٩-٢٣٠.

(٤) يوسف، الآية : ٥٥.

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٩/ ٢١٥-٢١٦.

(٦) فتح القدير : ٣/ ٣٥ ؛ وعرف عن هذا الفقيه المجاهد فهمه الصحيح وادراكه للواجب الملقى على عاتق العلماء الربانيين فقد جمع بين القضاء الأكبر والوزارة في عهد الإمام المنصور أمام اليمن وألف حوالي مائة كتاب طبع منها ثلاثة عشر وكان بحق نجماً في سماء نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر. المحافظة، الاتجاهات الفكرية : ص٤٤-٤٥.

أما الحديث النبوي الشريف فهو الآخر يسير على نهج القرآن الكريم فالحديث المشهور (إذا حكم الحاكم واجتهد وأصاب فله أجران وان حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)[1] هذا الحديث يفتح الآفاق الرحبة للعطاء الثر أمام المخلصين لدينهم، وإذا كان مفهوماً أجر المجتهد المصيب فان الإمام المزني تلميذ الإمام الشافعي يقول ان أجر المخطئ جاء من كون نيته صادقة لا في خطئِهِ[2]. ويشير الإمام ابن حجر[3] في تفسيره لهذا الحديث (قالوا يجب على المجتهد أن يجدد النظر عند وقوع النازلة ولا يعتمد على ما تقدم لإمكان أن يظهر له خلاف غيره وعلى هذا الأساس أعطي المجتهدُ المصيب أجرين أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، والمجتهد المخطئ أجراً واحداً وهو أجر الاجتهاد فقط).

وفيما يتعلق بتولي مناصب الدولة العليا وإيراد بعض الأحاديث الصحيحة التي تشم منها رائحة النهي وضرورة الابتعاد عنها كالحديث المشهور (يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فانك ان أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وان أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها ...)[4]. وكذلك ما رواه أبو ذر انك ضعيف، انها أمانة وانها يوم القيامة خزي وندامة الا من أخذها وأدى الذي عليه فيها)[5].

يعلق الآلوسي[6] على حديث عبد الرحمن بن سمرة ﷺ بأنه وارد في غير ما ذكر في النهي عن الإمارة. في حين يشير النووي[7] إلى الحديث الثاني إلى ان من كان أهلاً للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة كحديث سبعة يظلهم الله في ظله ...

أما الإمام الطرطوشي[8] فيعلق على الحديث بقوله أن رسول الله ﷺ منع أبا ذر من طلب الإمارة واستعمل علي بن أبي طالب ﷺ لأنه ﷺ (إنما نهى أبا ذر لمعنى فيه يقصر به عن رتبة القضاء مما كان ضده في علي ﷺ ثم قال في آخره إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها فاستدللنا بذلك على أن من اجتمعت فيه شروط القضاء وكان

---

(١) مسلم، صحيح : ٣/ ١٣٤٢ ؛ الترمذي، صحيح : ٢/ ٣٥ ؛ ابن ماجة، سنن : ٢/ ٣٤.
(٢) ابن عبد البر، جامع بيان العلم : ١/ ١٨٥ ؛ ينظر الآمدي، الأحكام : ٤/ ١٨٥ .
(٣) فتح الباري : ١٧/ ٨٧.
(٤) البخاري، صحيح : ٩/ ٧٩، مسلم ؛ المصدر السابق : ٣/ ١٤٦٥.
(٥) مسلم، المصدر السابق : ٣/ ١٤٥٧ ؛ البخاري، صحيح : ٩/ ٧٩.
(٦) روح البيان: ٤/ ٧٤؛ ينظر عن حياة أبو الثناء وحفيده محمود. المحافظة، المرجع السابق: ص٤٤-٤٩.
(٧) صحيح مسلم بشرح النووي : ١٢/ ٢١٠-٢١١.
(٨) سراج السلوك : ص٤٢.

قوياً على إنفاذه لم يدخل تحت النهي ومما يعد ضعفاً عن القضاء طلبه إياه إذ لم يدر عواقبه). فضلاً عن ما جاء في فضل الحاكم العادل من أحاديث كثيرة[١]. وعلى هذا الأساس نظر العلماء الربانيون إلى مسألة تولي المناصب والمساهمة في تسيير الحياة اليومية للأمة، وعندما رأى أصحاب سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت ﷺ اعتذاره عن قبول القضاء حثوه على القبول قائلين (لقضاء يوم لحق أفضل عندنا من صلاتك عمرك فولي القضاء)[٢].

وعندما طلب الرشيد من أثنين من تلاميذ الإمام مالك ﷺ بعد وفاته وهما الدراوردي وسلمة بن عكرمة المخزومي أن يليا صدقات المدينة المنورة فأبيا قال لواليه (تالله لئن ولينا أعمالنا أشرارنا ليعدون ذلك من حيفنا وجورنا ولئن ولياناها خيارنا ليأبون علينا أضرب كل واحد منهم ثلاثين سوطاً في كل يوم حتى يليها)[٣]. وكان رأي الإمام منذر بن سعيد البلوطي الفقيه الأندلسي المعروف على نفس رأي الرشيد عندما نصح الحكم الأموي أمير الأندلس بأن يحبس ويضرب من يرفض تولي المناصب[٤].

ان انفصال العلماء عن واقع الحياة اليومية من خلال رفضهم تولي المناصب في الدولة الإسلامية تحرجاً وتديناً قد أدى إلى تداعيات محزنة، أدى إلى أن يحل الخائن محل المخلص والجاهل محل العالم، قيل لمالك ﷺ (تدخل على السلاطين وهم يظلمون ويجورون فقال رحمك الله وأين المتكلم بالحق)[٥] وعندما تولى الفقيه الزاهد سحنون[٦] القضاء بتونس وهو في الرابعة والسبعين من العمر، بعد أن استجاب الوالي لكل شروطه وصلته رسائل احتجاج غاضبه من بعض إخوانه فرد على أحدهم ضمن رسالة طويلة (... ولعمري انه من لم تصلح له دنياه فسدت له أخراه وفي صلاح الدنيا إذا صلح المطعم والمشرب صلاح الآخرة، فكلا الأمرين متصل بالآخرة أدبهم في معاملتهم ورفع ظالمهم عن مظلومهم وأخذهم الأمور من وجوهها أدب لأخراهم لأن بصلاح دنياهم تصلح لهم أخراهم وبفساد الدنيا تفسد الآخرة)[٧].

---

(١) البخاري، المصدر السابق : ٩/ ٨٠ ؛ مسلم، المصدر السابق : ٣/ ١٤٥٨-١٤٦٠ ؛ الترمذي، المصدر السابق : ٢/ ٣٥ ؛ ابن ماجه، المصدر السابق : ٢-٣٤.

(٢) وكيع، المصدر السابق : ١/ ١٦٧.

(٣) القاضي عياض، المصدر السابق : ١/ ٢٠٧.

(٤) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس : ص٧٣.

(٥) القاضي عياض، المصدر السابق : ١/ ٢٠٧.

(٦) ينظر عن حياة سحنون، القاضي عياض، المصدر السابق : ٢/ ٦٠٤-٦٠٧.

(٧) القاضي عياض، المصدر السابق : ١/ ٩٥٧-٥٩٨.

نعم كيف تصلح الآخرة إذا فسدت الدنيا وغاب شرع الله ولجأ الصالحون إلى صومعاتهم وتركوا الساحة للفاسقين والمفسدين في الأرض. ان الجمود على آراء الفقهاء الأول فيما أباح الله فيه من الاجتهاد ولا سيما أن البعض قد جعلوا كما يقول ابن القيم[1] (التعصب للمذاهب ديانتهم التي بها يدينون) قد أدى مع مرور الزمن في بعض الأحيان إلى نشوء رأي عام ضعيف الالتزام إسلامياً، ومتقوقع إلى درجة التحجر، وقد آن الأوان لكسر هذه القواقع والاستفادة من العقول الكبيرة التي توجد على الساحة الإسلامية من فاس إلى جاكارتا. فايجاد مجامع فقهية والاستفادة من الكم الهائل من التراث الفقهي الذي حوته كتب الفقه والفتاوى سوف يمكن الأمة من إيجاد الحلول لمشكلاتها فالفتاوى تتغير بحسب الأزمنة والأمكنة والنيات والعوائد[2].

لم يتم الالتزام عند دراسة الشخصيات بوحدة زمنية، فهناك شخصيات من القرن الثاني وحتى القرن الثاني عشر، كما لم يتم الالتزام بوحدة مكانية جغرافية، فمساحة العالم الإسلامي التاريخية أخذت بنظر الاعتبار، فكان اختيار الشخصيات من بغداد وقرطبة وبخارى والموصل وتدمر والفسطاط وتونس ...

كان المنهج قائماً على اختيار شخصيات كانت لها مواقف عملية تجاه مجتمعاتها، تجاه السلطة والمجتمع ... وقد أعطت هذه الشخصيات صوراً ملونة واقعية للمسلم العامل، الذي ينقل إلى أرض الواقع معطيات الإسلام قرآناً وسنة، سواء على ساحة الجهاد الأصغر ضد العدو الخارجي، أو على صعيد الجهاد الأكبر في الداخل الإسلامي، حيث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الظلم وإقرار العدل والتصدي لانحراف الحكام، فضلاً عن نشر العلم وتأليف الكتب. كما أخذ بنظر الاعتبار اختيار شخصيات لم تستهلك من الناحية التأليفية، أو انها على الأقل غير معروفة إلا على الصعيد الأكاديمي والعلمي الضيق.

---

(١) ابن القيم، المصدر السابق : ١/ ٧.
(٢) المصدر نفسه : ٣/ ٣.

ولا يسعني أخيراً إلا أن أقول كما قال الخطيب البغدادي[1] رحمه الله (ولعل بعض من ينظر فيما سطرناه ويقف على ما لكتابنا هذا صمناه يلحق سيئ الظن بنا ويرى أنا عمدنا للطعن على من تقدمنا وإظهار العيب لكبراء شيوخنا وعلماء سلفنا، وأنى يكون ذلك وبهم ذكرنا وبشعاع ضيائهم تبصرنا، وباقتضاء واضح رسومهم تميزنا وكما قال عمرو بن العلاء ما نحن فيمن مضى إلا كبقل في أصول نخل طوال).

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

د. رعد محمود البرهاوي

(الموصل)

٢٧ رجب ١٤٢٠ هـ

---

(١) موضح أوهام الجمع والتفريق : ١/ ٥ ؛ وعلى نفس المنوال نسج الشنتريني في مقدمة ذخيرته (وما قصدت به علم الله الطعنة على فاضل ولا التعصب لقائل لان من طلب عيباً وجده وكل يعمل باقتداره ويجهد اختياره وما أغفل أكثر مما كتب والأفكار مزن لا تنضب ونجوم لا تضرب. القسم الأول، المجلد الأول : ص١٦.

سهل بن سلامة الأنصاري
وحركة الموطوعة

توفي الرشيد عام ١٩٣هـ/ ٨٠٨ م وتولى الخلافة من بعده الأمين الذي أخذ منذ توليه الخلافة بتحريض من الحاشية، يحاول أن يخلع أخاه المأمون من ولاية العهد[١] ويولي ابنه مكانه وبعكس أبيه الذي عرف بالجد والحزم، فقد كان الأمين، على الرغم من ما عرف عنه من (الشدة والقوة والبطش والبهاء والجمال إلا انه كان عاجز الرأي، ضعيف التدبير، غير مفكر في آخره ...)[٢] ووصفه وزيره الفضل بن الربيع بانه (ألهاه كأسه وشغله قدحه)[٣].

---

(١) أخذ الرشيد على ولديه العهود والمواثيق والأيمان الغليظة بأن يفوا لبعضهم البعض، وعلق ذلك على الكعبة. الطبري، تاريخ : ٨/ ٢٧٥-٢٨٦.

(٢) المسعودي، مروج الذهب : ٣/ ٤٠١-٤٠٢.

(٣)الطبري : تاريخ : ٨/ ٤١٨ : عن لهو الأمين وعدم التزامه يشير الطبري إلى انه طلب الخصيان وأتباعهم وغالى بهم وصيرهم لخلوته في ليله ونهاره وقوام طعامه وشرابه وأمره ونهيه، وفرض لهم فرضاً وسماهم الجرادية، وفرضاً من الحبشان سماهم الغرابية، ورفض النساء والحرائر والإماء حتى رمي بهن. ووصف الأمر شاعر مجهول بقوله :

أضاع الخلافة غش الوزير وفسق الإمام وجهل المشير

تاريخ : ٨/ ٥٠٨، ٣٩٦ ؛ وينظر للمزيد عن لهوه المسعودي، مروج الذهب ٣/ ٤٠١-٤٠٢. ومع ذلك فان البعض حاول أن يصور الصراع بين الأمين والمأمون تصويراً قومياً فهو صراع بين العرب أنصار الأمين والفرس أنصار المأمون، متناسين عن قصد وغير قصد أن العرب والفرس كانوا متداخلين في المعسكرين فقوات النخبة في عاصمة الخلافة هم الأبناء من أصل خراساني، وقد وقفوا إلى جانب الأمين مع قياداتهم وعلى رأسها علي بن عيسى بن ماهان، ومحمد بن أبي خالد، كما ان الفضل بن الربيع وزير الأمين ينحدر من عائلة فارسية خدمت الدولة العباسية منذ تأسيسها فقد كان الربيع بن يونس حاجب المنصور ومولاه وأقرب المستشارين إليه وظل ذا حظوة حتى وفاته عهد المهدي حيث أخذ ابنه محله فوزر للرشيد ووقف إلى جانبه في القضاء على البرامكة، وفي الإمكان إيراد الكثير من الشواهد مما يخرج عن المقصود، وعلى الجانب الآخر نجد ان اثنين من القادة الثلاثة الذين وجهوا للقضاء على الأمين كانا من أصل عربي وهما هرثمة بن أعين، وزهير بن المسيب، أما الثالث فقد كان طاهر بن الحسين الفارسي الأصل، ولم تكن علاقته حسنة بالفضل بن سهل وزير المأمون الفارسي.

ومع ذلك كله فقد ظهر في الآونة الأخيرة من يحاول أن ينصف بزعمهم الأمين من الاتهامات الباطلة التي كيلت له، اعتماداً على الرسائل المتبادلة بينه وبين أخيه في أثناء الحرب الدبلوماسية التي سبقت قعقعة السلاح وما فيها من الحكمة وبعد النظر السياسي متناسين سير الأحداث، وان كانت الرسائل قد يقوم بها الوزراء والكتبة، ويوقع عليها الخليفة، كما اعتمد في إنصاف الأمين على المراثي التي قيلت فيه على أساس انها تعبر عن الصدق تجاه خليفة مقتول من غير طمع بنواله وهي أيضاً غير موفقة تماماً لأننا قد نتعاطف أحياناً مع أية نهاية مأساوية لحاكم قتل في ريعان شبابه بطريقة وحشية، والكتاب بمجمله محاولة غير موفقة للدفاع عن قضية خاسرة لا يسندها أدب ولا تاريخ ولا سير الحوادث. ينظر مثال ذلك ما كتبته د. واجدة الأطرقجي، إنصاف الخليفة الأمين : ص٢٨-٤٧، وينظر أيضاً شاكر مصطفى، دولة بني العباس : ١/ ٤٠٦-٤١١ وزاهدة عبد الله، الخليفة العباسي محمد الأمين رسالة ماجستير غير منشورة: ص١٩٦، ١٧١.

وينبغي أن يقال إنصافاً للتاريخ أن لجوء الرشيد إلى طلب البيعة لابنه الأمين وعمره خمس سنوات كانت عملاً غير مسؤول لا يتفق والتقاليد الإسلامية، ومعارضاً حتى لأصول الحكم الوراثي، الذي يتطلب العمر المعقول والكفاءة[1].

ان خلع الأمين للمأمون، عام ١٩٥هـ / ٨١٠ م وإرسال قوات للقضاء عليه في معقله خراسان، بقيادة علي بن عيسى بن ماهان، قد أصيب بانتكاسة كبيرة عندما تصدى قائد المأمون طاهر بن الحسين بنجاح لقوات الأمين التي هزمت وقتل قائدها على الرغم من تفوقها في العدد والعدة[2].

وسرعان ما ازداد الوضع سوءاً بالنسبة للأمين بانضمام الكثير من الولايات إلى المأمون مثل قزوين وكور الجبال، والأهواز، والبصرة، والكوفة والموصل، والمدائن، ومكة والمدينة المنورة[3] ثم حدث تطور أكثر خطورة بتمرد أحد قادة الأمين عليه وهو الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان وقيامه بإلقاء القبض عليه وحبسه وخلعه والبيعة للمأمون وكاد الأمر أن ينتهي عند هذا الحد لولا قيام القائد محمد بن أبي خالد بالقضاء على الحسين بن علي، وإعادة الأمين إلى الخلافة وكان مع خالد قائد آخر أفرزته، الأحداث من أهل الحربية [4] هو أسد الحربي الذي كسب ولاء أهل الحربية والأرباض ببغداد وهي المناطق الواقعة في ضواحي المدينة[5].

أخذت السلطة في بغداد تتحلل تدريجياً وتظهر زعامات عديدة في ظل خليفة ضعيف، قليل الخبرة، وسط حاشية طموحة، قصيرة النظر سياسياً وفي ظل هذه الظروف أخذت محلة الحربية التي كانت المجمع السكني للقوات العسكرية المتعددة الأصول، تظهر على سطح الأحداث، من خلال قوتها العسكرية، وزعاماتها الطموحة، وعلى رأسهم محمد بن ابي خالد[6].

---

(١) بايع الرشيد الأمين عام ١٧٥هـ/ ٧٩١ م، وبايع لابنه المأمون الأكبر منه ببضعة أشهر عام ١٨٢هـ/ ٨٩٨ م أي بعده بسبع سنين. ينظر الطبري، تاريخ : ٨/ ٢٤٠، ٢٦٩.

(٢) الطبري، المصدر نفسه : ٨/ ٣٩٠-٣٩٣

(٣) المصدر نفسه ٨/ ٤١٥-٤١٦، ٤٣٢، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٨ .

(٤) الحربية : محلة كبيرة في الجانب الغربي وفي الجهة الشمالية الشرقية منها وتنسب إلى أحد قادة المنصور حرب بن عبد الله البلخي الذي كان يتولى الشرطة له وكانت من الكبر بحيث تضم محال عديدة مثل دار البطيخ والنصرية والعتابين والشارسوك. ينظر السمعاني، الأنساب : ٢/ ١٩٧ ؛ ياقوت، المصدر السابق: ٢/ ٢٣٧ ؛ ريجارد كوك، بغداد : ١/ ٥٠ .

(٥) خليفة، تاريخ ٢/ ٥٠٤ : الطبري، تاريخ : ٨/ ٤٢٨-٤٢٩.

(٦) اليعقوبي، تاريخ : ٢/ ٤٣٩ .

وقد قام الأمين بتسليح هذه القطعات الجديدة التي اخذت تحل تدريجياً محل الجند المنظم الذي سحقته الهزائم التي مني بها في صراعه مع أخيه المأمون[1] وعندما تقدم طاهر عام ١٩٦هـ/ ٨١١ م نحو العراق، وبعد استيلائه على واسط وغيرها من المناطق الواقعة شرق وجنوب بغداد، أصبح اعتماد الأمين بصورة رئيسة على أهل الحربية فقود منهم جماعة، وأغدق عليهم الأموال، وقد أثبت هؤلاء انه لا يمكن الاعتماد عليهم بشكل جدي، فقد كانوا دائمي الشغب فضلاً عن رغبتهم الشرهة التي لا نهاية لها في الحصول على الأموال ومكائد طاهر بن الحسين الذي كان يكاتب قادتهم ويستميلهم[2] وعندما وقف طاهر على باب الأنبار[3] استعداداً لاقتحام بغداد، انهار الوضع الأمني فقد ظهر الشطار[4] وفر المسجونون من سجونهم، وانطلق هؤلاء كالكلاب المسعورة تنهش لحوم الناس وأموالهم، وأعراضهم في بغداد[5].

عسكر طاهر عام ١٩٧هـ/ ٨١٢ م في الجانب الغربي، والقائد الثاني للحملة هرثمة بن اعين في الجانب الشرقي[6] وسرعان ما انظم القائد الثالث زهير بن المسيب الذي استخدم السفن من كلواذي[7] والتي كانت تحمل الأسلحة الثقيلة لقصف المدينة، والمتمثلة بالعرادات[8] والمجانيق[9] وقد أدى نزول طاهر في الجانب الغربي، وفي محلة الحربية إلى انضمام أهلها إليه على الرغم من ولائهم السابق للأمين، حيث امتدت سيطرة طاهر على الجانب الغربي إلى باب الأنبار[10].

---

(١) الطبري، المصدر السابق : ٨/ ٤٣٠ .
(٢) المصدر نفسه : ٨/ ٤٤٢-٤٤٣ .
(٣) حي الأنبار : أحد أبواب بغداد ويقع في الجانب الغربي.
(٤) الشطار : وصفت المعاجم اللغوية الشاطر بأنه ذلك الشخص المتباعد عن الخير والذي يمتاز بالخبث والميل إلى الشهوات واللهو والعبث والذي غادر أهله مخالفاً لهم. ويبدو ان الشطار قدماء فقد أشار إليهم الإمام مالك بالمعنى نفسه. الرازي، مختار ص٣٣٧ : الجوهري، الصحاح ٢/ ٦٩٧ : ابن منظور، لسان العرب : ٦/ ٧٦ : الفيروز آبادي، القاموس : ٢/ ٥٨ : ابن سيدة، المخصص : ٢/ ٣٤١ : التنوخي، نشوار : ٢/ ٣٥١ : الصابي، الهفوات : ص٣٥٨ : الزبيدي، تاج العروس : ٣/ ٢٨٩ .
(٥) الطبري، المصدر نفسه : ٨/ ٤٤٥ .
(٦) اليعقوبي، المصدر السابق : ٢/ ٤٤٠.
(٧) كلوذاي : ناحية قرب بغداد في الجانب الشرقي. ياقوت، المصدر السابق ٤/ ٤٧٧ .
(٨) عرادة : هي شكل مصغر عن المجانيق، يستخدم في رمي السهام الكبار دفعة واحدة إلى مسافات بعيدة ولأهداف نائية. عون الفن الحربي : ص١٥٦.
(٩) مجانيق : تشبه مدفعية الميدان الثقيلة في الوقت الحاضر، تستخدم الحجارة في تهديم الحصون والأبراج وقنابله تحرق الدور والمعسكرات. عون، المرجع السابق : ص١٥٦.
(١٠) الطبري، المصدر السابق : ٨/ ٤٤٠-٤٤١.

وقد أدى انضمام الحربية إلى طاهر إلى تعرضها لقصف عنيف بالنفط بأمر من الأمين مما أدى إلى احتراق المنازل، وموت الكثير، ولجأ طاهر إلى استخدام أسلوب مبتكر في حرب المدن يقوم على القضم البطيء وتحصين المناطق المحتلة عبر بناء جدران ساترة، وحفر الخنادق في الدروب، مما أدى إلى خراب الكثير من المناطق ومارس الطرفان المتحاربان سياسة التدمير المنظم تجاه مناطق الخصم[1].

في ظل هذه الظروف أصبح أنصار الأمين من الناحية العملية يتكونون من الفساق والشطار والعبيد الأبقين، ولا سيما الأفارقة، فضلاً عن صغار الباعة، والعراة من فساق المدينة والهاربين من السجون، والأوباش، والطرارين[2] وعمال الأسواق والعيارين[3] الذين مارسوا السلب والنهب والإرهاب[4].

ويقدم لنا المسعودي[5] وصفاً يثير الغرابة والاشمئزاز لهؤلاء العيارين والعراة والمجرمين فقد كانوا يقاتلون عراة سوى من التبابين والميازر، وقد اعتمروا على رؤوسهم غطاء من الخوص على صورة الخوذ، وكانت درقهم من الخوص والبواري قد قيرت وحشيت بالحصى، ويقود كل عشرة منهم عريف وعلى كل عشرة عرفاء نقيب، وعلى كل عشرة نقباء قائد وعلى عشرة قواد أمير ... ولكل من هؤلاء العرفاء والنقباء والقادة والأمراء حصان بشري ان أمكن تسميته مكون من أحد هؤلاء العراة، قد جعل في عنقه جلاجل وصوف أحمر وأصفر ومقود ولجم وذنب، ومكانس ومذاب، حيث كان العريف يتقدم في المعركة راكباً حصانه البشري العاري، وقدامه عشرة من المقاتلة، وكانوا يقاتلون بالحجارة والمخلاة، ورماح القصب وأعلامهم من الخرق وبوقاتهم من القصب وقرون البقر، ولا يعرف عددهم بالضبط وإنما وردت إشارة إلى ان حشودهم بلغت في إحدى المواجهات مائة ألف.

---

(١) المصدر نفسه : ٨/ ٤٤٥ .

(٢) الطرارون : هم أولئك الصنف من الناس المطرودون اجتماعياً ويمتازون بغلظتهم ورداءة أخلاقهم والذين يهتمون بهيئتهم الخارجية، وهي لا زالت تستخدم في الموصل لحد الآن بنفس المعنى. ابن دريد، جمهرة: ١/ ٨٤ ؛ ابن فارس، معجم : ٣/ ٤٠٩.

(٣) العيار : هو ذلك الشخص الكثير التطواف والحركة والذي يستخدم ذكاءه في المعاصي والذي يمارس اللصوصية وفي الوقت الذي انتهى استخدام مصطلح الشطار بعد القرن الرابع تقريباً فاننا نجد العيارين يظلون في الساحة كلصوص يستغلون ضعف السلطة لفرض الإتاوات والسلب والنهب تحت شعارات مختلفة. الرازي، المصدر السابق : ص٤٦٥ ؛ الجوهري، المصدر السابق : ٢/ ٩٨ ؛ ابن منظور، المصدر السابق : ٦/ ٣٠١ ؛ الزبيدي، المصدر السابق : ٣/ ٤٣٤ .

(٤) المسعودي، مروج الذهب : ٣/ ٤٠٩-٤١٠ ؛ الطبري، تاريخ : ٨/ ٤٤٨ .

(٥) المسعودي، مروج الذهب : ٣/ ٤١١-٤١٢، ٤١٦-٤١٧ ؛ الطبري، تاريخ : ٨/ ٤٧٠ .

وسط هذه الأجواء من التسيب الأمني يتوقع المرء الوضع السيئ الذي وصلت إليه بغداد من إرهاب هستيري مارسه أناس من فساق المدينة تجاه مجتمع طالما نظر إليهم باحتقار وإهمال[1].

والذي يعدّ بحق على الرغم من كل شيء أنصع تاريخ عرفته البشرية على الأصعدة كافة انه كان خالياً من ضائقة في بعض الأحيان لم توظف إيجابياً لمواجهة الممارسات غير الإسلامية والتي حاول البعض وضعها في إطار إسلامي مزيف.

ولابد من الاعتراف بالآثار السيئة التي ترتبت على وجود مئات الألوف من العبيد والجواري من جنسيات شتى صقالبة (سلاف) وأتراك وفرس وبربر، وهنود، وروم وغيرهم ... ومن عقائد شتى كتابية وشركية والذين جلبوا من أسواق النخاسة، وميادين الحروب للخدمة والعمل الزراعي والحرفي ولأغراض اللهو الداعر، وسط ترف فاحش مارسه كثير ممن ينتمي إلى النخبة وقلدتها بشكل أو بآخر الشرائح الاجتماعية ذات القدرة المادية من بعض التجار والحرفيين الطفيليين من الشعراء والمغنين وخدمة القصور وغيرهم. إلى جانب ذلك جماهير غفيرة من السكان المعوزين الذين جاءوا من الأرياف هرباً من قهر الجباة وظلم ملاك الأراضي في مناطق السواد وغيرها والمهاجرين من الأقاليم الذين اجتذبهم بريق بغداد، والعبيد الذين نالوا الحرية عبر القنوات التي كفلها لهم الإسلام من مكاتبة وكفارة والعتق الطوعي، ويقابل ذلك كله عجز كثير من الفقهاء والمحدثين والوعاظ ... عن التصدي لهذا الانحراف الذي انخرط فيه مع الأسف بعضهم، ومما يثير الاستغراب اننا لا نجد إلا لقلة منهم ذكراً في هذه الأحداث. ان هذا الصمت المخجل يؤيده عدم إشارة أصحاب التراجم إلى مقتل بعضهم في هذه السنوات ضمن مسلسل الحصار وما تبعه من تطورات ويشير إلى لزوم كثير من هؤلاء منازلهم يحوقلون ويستغفرون ويدعون الله ان يضرب الظالمين بالظالمين ويخرجهم منهم سالمين غانمين، ولربما غادر بعضهم بغداد إلى مناطق أخرى أكثر أماناً[2].

---

(١) سعد، العامة في بغداد : ص٢٩٨ .

(٢) صور الوضع شاعر بغدادي ضرير يدعى علي بن أبي طالب بقوله :

تقطعت الأرحام بين العشائر ... وأسلمهم أهل التقى والبصائر
فذاك انتقام الله من خلقه بهم ... لما اجترحوه من ركوب الكبائر
وصار رئيس القوم يحمل نفسه ... وصار رئيسا فيهم كل شاطر

المسعودي، مروج الذهب : ٣/ ٤٠٩-٤١٠.

ان هذه السلبية هي التي أبرزت قادة لهؤلاء المجرمين من العيارين[1] والفساق والعبيد من أمثال أبو البط[2] والهرش قائد الأفارقة، وحاتم بن الصقر الذي وصف بأنه قائد العراة والعيارين [3] وهي التي أدت إلى انحسار التأثير الفعلي للفقهاء في وسط مجتمع أصبح فيه المنكر حالة اعتيادية، فقد أصبح الخمر يشربه فساق النخبة والعامة على السواء[4]، فضلاً عن تفشي الزنا واللواط وغيرها من الأفعال المحرمة والمشينة التي قاومها الإسلام[5].

تطورت الأحداث بشكل درامي أكثر حدة عندما حقق أنصار الأمين بقيادة محمد بن عيسى بن نهيك[6] والهرش نصراً جزئياً في معركة قصر صالح فمارسوا في نشوة النصر حملة عارمة من السلب والنهب والقتل روعت الناس وغادر على أثرها الكثير من سكان بغداد مدينتهم طلباً للسلامة، والأمين غارق في سكره ولهوه، وقد صور شاعر بغدادي مجهول يدعى الخزيمي، الوضع المؤلم لعاصمة الخلافة، من قصيدة طويلة غريبة عن ما عهدناه من قصائد شعراء عهده، من المديح الكاذب والرثاء المنافق والوصف الجمالي الحسي، وغيرها من ألوان الشعر ... بلغت أبيات القصيدة (١٣٥) بيتاً أوردها الطبري كاملة نقتطف منها أربعة أبيات :

رق بها الدين واستخف بذي الـ ... فضل وعز النساك فاجرها

وحطم العبد أنف سيده ... بالرغم واستعبدت طرائرها

وصار رب الجيران فاسقهم ... وابتز أمير الدروب ذاعرها

كتائب الهرش تحت رايته ... ساعد طرارها مقامرها[7]

---

(١) ظهرت في الآونة الأخيرة دراسة حاولت أن تصور هؤلاء بأنهم أبطال ذوو مبادئ سامية، مستخدمة أسلوباً انتقائياً في النصوص، واللجوء إلى بترها أحياناً لدعم الاستنتاجات الخاطئة، وان ما لصقه بهم المؤرخون من تهم هي ظلم وبهتان من ذلك ان الشطار والعيارين الذين ظهروا في أثناء حصار بغداد يمثلون العرب وهم حزب الأمين في حين كان طاهر بن الحسين يمثل العجم حزب المأمون، ويدافع المؤلف دفاعاً مخجلاً عن عياريه بأن الطبري لم يذكرهم في السلب والنهب، بل نسبه إلى الفساق وأهل السجون والعيار حاشا لله ليس لصاً ولا فاسقاً ويندد بالشعراء الذين هاجموا العيارين وبعضهم مجهول الاسم في أثناء حصار بغداد. ينظر د. النجار، الشطار والعيارون : ص٢١، ٢٥، ٢٨-٢٩، ٤١ ؛ زاهدة، المرجع السابق : ص١٦٩، ١٧١.

(٢) لا ندري لماذا لقب بأبو البط ويشير خليفة إلى اسمه الكامل وهو احمد بن محمد الهذلي تاريخ : ٢/ ٥٠٧ .

(٣) الطبري، تاريخ : ٨/ ٤٤٨.

(٤) المسعودي، مروج الذهب : ٤/ ٣٢.

(٥) ينظر في سيرة الكثير من شعراء هذا العصر لنرى العجب العجاب من أمثال أبي نواس قبل توبته المتأخرة ووالبه بن الحباب ومطيع بن اياس وديك الجن. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي : ٢/ ١٠٠-١٠٤، ١٥٨-١٦٦، ٢٧١-٢٧٣.

(٦) عيسى بن نهيك كان قائداً لحرس المنصور وله ربض يحمل اسمه. ياقوت، معجم البلدان : ٣/ ٢٦.

(٧) ينظر الطبري، تاريخ : ٨/ ٤٥٠-٤٥١ .

قام طاهر بن الحسين بتدمير المنطقة الممتدة ما بين دجلة ودار الرقيق وباب الشام وباب الكوفة إلى نهر الصراة وربض حميد ونهر كرخايا. ومن المضحكات المبكيات، أن أصحاب طاهر كانوا يهدمون وأصحاب الأمين ينهبون السقوف والأبواب والمتاع، عبر عن ذلك شاعرهم بقوله :

إذا هدموا دارا اخذنا سقوفها ونحن لأخرى غيرها نتربص

وكان الأمين المغلوب على أمره، والذي ترك عربة الدولة تهوي نحو قاع الوادي السحيق على حق ربما لأول مرة عندما وصف المعسكرين بقوله (والله وددت ان الله قتل الفريقين جميعاً، فأراح الناس، فما منهم إلا عدو لي، أما هؤلاء فيريدون مالي واما هؤلاء فيريدون نفسي)[1].

حسم طاهر بن الحسين الموقف عام ١٩٨هـ/ ٨١٣ م حيث قتل الأمين بعد ان سلم نفسه، ودخل الوضع الأمني في بغداد مرحلة جديدة، يفترض فيها ان يعاد الأمن والنظام إلى المدينة الا ان الأمر استمر على ما هو عيه، ولاسيما بعد ان نقل طاهر من العراق نتيجة لمكائد الفضل بن سهل وزير المأمون، وعين والياً على الشام والجزيرة والموصل والغرب، وعين بدله على العراق الحسن بن سهل أخو الوزير المذكور[2]. لقد استمر حصار بغداد (١٤) شهراً وصف فيه المسعودي[3] المأساة بقوله (ضاقت بغداد بأهلها وتعطلت المساجد وتركت الصلاة).

نعم ان (١٤) شهراً من البلاء، وسط غياب الحياة الإسلامية الملتزمة، يشير إلى خلل في الفكر والسلوك معاً، عانى منه معظم الفقهاء والمحدثون عندما اعتبروا ان مهمتهم الربانية تتوقف عند طلب العلم والرحلة فيه فقط، وتدريس الطلبة وتأليف الكتب من غير اقتران العلم بالعمل.

سرعان ما توتر الوضع بين الحسن بن سهل وسكان الحربية، الذين برزوا قوة عسكرية وسياسية متماسكة في أثناء الأحداث، ولا ينسى ان القوى التي استفادت من عمليات التدمير والسلب والنهب، والتي لا تلجمها عقيدة ولا قيادة موحدة، ليس من مصلحتها أن يعود الهدوء والاستقرار. وزاد الطين بلة بروز قيادات غير مسؤولة طموحة ركبت موجة هذه الشريحة الجديدة من المحاربين ولا سيما العيارين والشطار والفساق

---

(١) المصدر نفسه : ٨/ ٤٧٠ ؛ المسعودي، مروج الذهب : ٣/ ٤١٨ .
(٢) الطبري، تاريخ : ٨/ ٢٢٧ .
(٣) المسعودي، مروج الذهب : ٣/ ٤١٢-٤١٣.

والعبيد، فقام هؤلاء بقيادة محمد بن أبي خالد بطرد الحسن من بغداد وبايع هؤلاء اسحاق بن موسى الهادي خليفة للمأمون ببغداد[1]. ودخلوا في قتال استمر ثلاثة أيام على قنطرة الصراة مع الحسن اضطر بعدها الأخير إلى الانسحاب إلى واسط، مجمداً صراعه مع الحربية وقائدها محمد بن ابي خالد[2].

حاول محمد بن ابي خالد ان يبايع للمنصور بن المهدي، إلا ان الأخير رفض ذلك وقبل ان يتولى المسؤولية في بغداد نائباً للمأمون كما اشترط من قبله اسحاق بن موسى الهادي وخلال ذلك أخذ الوضع العسكري يميل تدريجياً لصالح الحسن بن سهل المرابط في واسط، ولا سيما بعد موت محمد بن أبي خالد متأثراً بجراحه التي أصيب بها بعد معركة أبي قريش قرب واسط ولجوء الحسن إلى استخدام المال والمصاهرة مع ابنه عيسى بن محمد بن ابي خالد الذي قبل سلطة الحسن[3].

– ظهور سهل بن سلامة الأنصاري

في سنة ٢٠١هـ/ ٨١٦ م، وفي وسط هذه الظروف المتردية من النواحي الأمنية والسياسية والاقتصادية، ظهرت حركة المطوعة بقيادة أبي حاتم سهل بن سلامة الذي لم يعرف عنه الكثير مع الأسف، سوى انه من الأنصار رضي الله عنهم الذين استوطنوا خراسان واستقر في الحربية وهاله ما رأى من سيطرة الفساق والشطار، الذين آذوا الناس أذى شديداً وبلغ من فسقهم ودعارتهم انهم أظهروا الفسق علانية، وقطعوا الطريق، وأخذوا النساء والصبيان علانية، وكانوا يأخذون ولد الرجل وأهله فلا يقدر على منعهم، وكانوا يطلبون من الرجل أن يقرضهم من ماله أو يعطيهم فلا يقدر على الامتناع، وأخذوا يجبون الضرائب في الطرق والسفن، ويخفرون البساتين وأخذوا ينبهون القرى وكان موقف السلطات في بغداد أمام كل ذلك هو الساكت والمتفرج لأنهم ذراعها العسكري، ووصل الأمر بهم إلى الهجوم على مدينة قطربل[4] فنهبوها علانية وأخذوا الدواب والذهب والفضة والمتاع فباعوها ببغداد[5] وهنا طفح الكيل، فقام صلحاء المناطق

---

(١) أشار اليعقوبي إلى انهم حاولوا البيعة لمحمد بن صالح بن المنصور إلا انه رفض. تاريخ : ٢/ ٤٥٠.
(٢) الطبري، تاريخ : ٨/ ٥٤٣-٥٤٤ .
(٣) المصدر نفسه : ٨/ ٥٤٦-٥٥٠ .
(٤) قطربل : قرية من ضواحي بغداد تقع بينها وبين عكبرا ويبدو ان سكانها نصارى فقد كانت مشتهرة بالخمر ومحلاً للفساق. ياقوت، معجم البلدان : ٤/ ٣٧١.
(٥) الطبري، تاريخ : ٨/ ٥٥١ .

والدروب بالاتفاق على إيجاد حل لهذا الداء الوبيل وقالوا (إنما في الدروب الفاسق والفاسقان إلى العشرة وقد غلبوكم وأنتم أكثر منهم فلو اجتمعتم لقمعتم هؤلاء الفساق)[1] ويشير المسعودي[2] إلى أن حركة المطوعة بدأت من سكان الأرباض المحيطة ببغداد ويسميها حركة (الرويبضة) والتي نالها ما نال قلب المدينة من التدمير والبلاء على أيدي أولئك المجرمين والفساق والعراة من العيارين والشطار وغيرهم، حيث لجأ رؤساء العامة إلى التكتل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

ويشير الطبري[3] إلى ان المبادرة جاءت من قبل شخص يدعى خالد الدريوش الذي دعا جيرانه وأهل محلته إلى معاونته على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأجابوه فاستطاع أن يقمع الفساق والشطار حيث اصطدم بهم فهزمهم وضربهم وحبسهم وسلمهم إلى حاكم بغداد، وكان رأي الدريوش ان مهمته تنتهي عند هذا الحد إذ كان (لا يرى أن يغير على السلطان شيئاً) ثم قام بعد يومين أو ثلاثة المجاهد أبو حاتم سهل بن سلامة فدعا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والى العمل بالكتاب والسنة وعلق مصحفاً في عنقه، ثم دعا الناس جميعاً الشريف والوضيع من بني هاشم وغيرهم فتقاطر إليه جماهير بغداد المتعطشة إلى العمل بالكتاب والسنة حيث سجل الأنصار في ديوان وبايعه الفضل بن الربيع، وخازم بن خزيمة، ومنصور بن المهدي وغيرهم من القيادات السياسية والعسكرية المعروفة وشكلت قيادة جماعية لقيادة مناطق بغداد وأرباضها وكان ضمن أنصاره أحمد بن نصر الخزاعي الذي كان ضمن قيادة الجانب الغربي من بغداد[4] وكان الأنصار يبايعون سهلاً أبا حاتم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغيير المنكر بالسيف كائناً من يكون صاحب المنكر وتم التأكيد على المسؤولية الجماعية، بدل العمل الفردي. ان الفرق بين فكر الدريوش وفكر أبي حاتم يمكن توضيحه من خلال الحوار الآتي الذي جرى بين الرجلين فقد كان الدريوش يقول (انا لا أعيب على لاسلطان شيئاً ولا غيره ولا أقاتله ولا آمره بشيء ولا أنهاه وقال سهل بن سلامة لكني أقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كائناً من كان سلطاناً أو غيره والحق قائم في الناس أجمعين فمن بايعني على هذا قبلته، ومن خالفني قتلته). وقد أعلن أبو حاتم أهدافه هذه في الرابع من

---

(١) المصدر نفسه : ٨/ ٥٥٥.
(٢) مروج الذهب : ٤/ ٢٩.
(٣) تاريخ : ٨/ ٥٥٢.
(٤) المصدر نفسه : ٩/ ١٣٥.

رمضان عام ٢٠١هـ/ ٨١٦ م في المسجد الذي بناه طاهر بن الحسين في محلة الحربية والذي اتخذه سهل مقراً له[١].

ان أنصار سهل كما يبدو كانوا من أولئك الذين اتخذوا موقفاً سلبياً من الأحداث التي صاحبت الحصار وما بعده، ووجدوا ان سلبيتهم لم تجدهم نفعاً، فلم توفر لهم الحماية السلطة التي يفترض أن تقوم بذلك، بل ساهمت مع أولئك الخارجين من أسفل السلم الاجتماعي والمشبعين بالقيم الجاهلية التي طالما حاربها الإسلام في نشر الرعب والسلب والنهب والقتل وانتهاك المحرمات، ومن الغرابة بمكان ان يستنتج أحد الباحثين[٢] من غير دليل من المصادر أو سير الأحداث ان أنصار سهل هم من العيارين، وهو الذي جاء أصلاً للقضاء عليهم.

وعلى الرغم من ان المصادر وعلى رأسها الطبري لا تشير إلى أسماء القيادة الجماعية، إذ لم تشر إلا إلى أحمد بن نصر الخزاعي فضلاً عن القائد الأعلى سهل فان من المحتمل أن تكون من أولئك الذين أيدوا منهجه من الفقهاء والمحدثين والحرفيين والتجار الذين فهموا الإسلام من خلال سيرة المصطفى ﷺ وصحبه رضي الله عنهم والمجاهدين الذين ساروا على ذلك النهج. فضلاً عن الوجوه القديمة من القادة السياسيين والعسكريين الذين برزوا في عهدي الرشيد والأمين من أمثال الفضل بن سهل، والمطلب الخزاعي وحازم بن خزيمة وغيرهم.

ولا يعرف بالضبط عدد الأنصار الذين شكلوا القاعدة التي استند عليها سهل في تنفيذ خطته في إعادة الأمن وتطبيق حدود الله، ولربما وصلوا إلى أضعاف الرقم الذي أورده الخطيب الإسكافي[٣] وهو خمسة آلاف، إذ ان رقماً متواضعاً كهذا لا يكفي للسيطرة على مدينة كبيرة، مكونة من محلات عديدة وأرباض كبيرة.

ان القيادات السياسية والعسكرية القديمة والتي تعودت نمطاً في الحكم والحياة والسلوك منحرفاً في معظم مساراته عن النهج القائم على الكتاب والسنة لا يمكنها أن ترضخ إلا مؤقتاً لقيادة تمارس السلطة من خلال مفهوم جديد قائم على الكتاب والسنة. ولذلك نجد انها تلجأ إلى طعن سهل في الظهر كلما واتتها الفرصة على ذلك. وان عدم

---

(١) المصدر نفسه : ٨/ ٥٥٢

(٢) سعد، العامة في بغداد : ص٢٩٩.

(٣) لطف التدبير : ص٥٧-٥٨ : ولابد من الإشارة إلى ان رواية الاسكافي عن حركة سهل مكتوبة بلغة عدائية فيها الكثير من التحامل والتجني، ولذلك تم التعامل معها بحذر شديد.

تخلص سهل من هذه القيادات واجتذاذها منذ البداية. هو الـذي أدى إلى فشـل الحركـة، وعندما أحس سهل بخطورة هذه القيادات وقرر التصدي لها كانت الحركة متـأخرة وغـير ذات جدوى كما سيظهر من تطور الأحداث اللاحقة.

ان أول تمرد على سلطة سهل في بغداد، جاء من المطلب بن عبد الله الخزاعي الذي خلع بيعة سهل وبايع للمأمون بالاتفاق مع الحسن بن سهل، وقد طلب سهل من المطلب مقابلته دون جدوى، فقرر مقاتلته حيث اصطدمت قوات الطرفين لمدة يومين أو ثلاثة في قتال شديد مما أوهن في قوة سهل، ثم جاء الفتق الثاني، بتعاون عيسى بن محمد بـن أبـي خالد مع المطلب، حيث حاول عيسى اغتيال سـهل، ويبـدو ان هـذه المحاولـة إلى جـانب تخاذل الكثيرين من أنصار سهل قد دفعت الأخير إلى لزوم منزله. حيث برز عيسى قـائداً يدير شؤون المدينة[1].

يبدو ان فشل المفاوضات بين عيسى والحسن بن سهل، قد دفع عيسـى إلى محاولـة الاستفادة من سهل وأنصاره من جديد لتدعيم قبضته على بغـداد، حيـث اعتـذر لسـهل وبايعه من جديد وأمره أن يعود إلى ما كان يدعو إليه من الأمـر بـالمعروف والنـهي عـن المنكر، وفعلاً عاد سهل إلى ممارسة عمله من جديد من خلال الاتفاق مع عيسى[2].

ان هذه النكسة التي أصيب بها سهل، دفعته إلى أن يسد الثغـرات وينظـم أنصـاره بشكل أكثر انضباطاً، مستفيداً من تجربته المرة مع المطلب وعيسى، التي لم يظهر فيها معظم أنصاره الحماس والاستعداد للتضحية ذلك الاستعداد الذي بـايعوا سـهلاً عليـه. وجـاء التطور الآخر الذي ساهم في إجهاض الحركـة هـو مبايعـة القيـادات الـتي سـبق ذكرهـا لإبراهيم بن المهدي بالخلافة بدل المأمون في المحـرم مـن عـام ٢٠٢هـ/ ٨١٧ م، وكـانت أسباب هذه البيعة هي بقاء المأمون بخراسان في مرو وعدم مجيئه إلى عاصمة أجداده بغداد ثم مبايعته بولاية العهد لعلي الرضا بن موسى الكاظم ﷺ واتخاذه الخضرة شعاراً له بدل السواد شعار العباسيين.

ان فسق هذه القيادات وعدم التزامها الإسلامي هي التي دفعتـها إلى اختيـار أسـوأ رجـل في العائلـة العباسـية، عـرف عنـه رقـة دينـه وفسـقه وخمـره واشـتهاره بالغنـاء

---

(١) الطبري، تاريخ : ٨/ ٥٥٣.
(٢) المصدر نفسه : ٨/ ٥٥٤ .

والموسيقى[1]. ولقبوه بالمبارك[2] وكان من ضمن من بايعه الفضل بن الربيع وعيسى بن محمد بن أبي خالد وسعيد بن الساجور وأبو البط وأسد الحربي[3] كما كان من جملة قواده أبو إسحاق بن الرشيد الذي أصبح خليفة بعد المأمون ولقب بالمعتصم، حيث استخدمه في القضاء على أحد الخوارج الذي يدعى مهدي بن علوان الحروري الذي خرج في طساسيج نهر بوق والراذانين[4].

حاول إبراهيم بن المهدي بعد مبايعته أن يتصدى لنفوذ سهل بن سلامة ويقضي على سلطته في بغداد التي تتداخل مع سلطاته وتتعارض معها. إلا انه امسك عن ذلك عندما هزمت قوات إبراهيم بن المهدي التي أرسلها بقيادة عيسى بن محمد للقضاء على الحسن بن سهل بواسط في رجب من السنة نفسها. لجأ سهل إلى تحصين المناطق التي يسيطر عليها، وأخذ أنصاره في بناء أبراج من الجص والآجر على أبواب الدور المطلة على الدروب ونصب على هذه الأبراج السلاح والمصاحف، وامتدت التحصينات إلى قرب باب الشام، سوى مناطق المؤيدين في الكرخ والمناطق الأخرى.

أخذ عيسى بن محمد هو وأنصاره في أعقاب هزيمتهم أمام الحسن بن سهل وعودتهم إلى بغداد في التوجه نحو معاقل سهل الذي جاهرهم بالعداء، وأخذ يندد بهم وبأعمالهم ويسميهم الفساق، واشتبك الطرفان في معارك تدور في الدروب وعبر البيوت في المناطق التي يسيطر عليها أنصار سهل ولجأ عيسى إلى خطة خبيثة طالما أثبتت جدواها في كثير من المرات عبر تاريخنا وهي استخدام الذهب والفضة في شراء الذمم والولاءات حيث أخذ يغدق على أهل الدروب الألف والألفين على ان يسمحوا له باجتياز معاقلهم، فكان يصيب الرجل الواحد من أهل هذه الدروب الدرهم والدرهمين، وفي الخامس من شعبان عام ٢٠٢هـ/ ٨١٧م استطاع عيسى اختراق الخطوط الدفاعية لسهل

---

(١) وصفه الخطيب البغدادي بأنه كان مولعاً بالغناء، حاذقاً فيه، ومن طريف ما يروى عنه انه عندما عجز عن دفع رواتب جنده، طلب بعضهم متهكماً مقابل الراتب (فان لم يكن المال فاخرجوا لنا خليفتنا فليغن لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات ولأهل ذلك الجانب ثلاثة أصوات فيكون عطاء لهم)، تاريخ بغداد : ٦/ ١٤٤ .

(٢) أشار اليعقوبي إلى انهم لقبوه بالمرضي، في حين يشير الخطيب البغدادي إلى اللقبين معاً ويشير ابن طيفور إلى لقب آخر إلى الخليفة السني ولا أدري أية سنية هذه لإبراهيم فقهه أم ورعه وتقواه. تاريخ : ٢/ ٤٥٠ ؛ تاريخ بغداد : ٦/ ١٤٢ ؛ بغداد : ص١١٠.

(٣) اليعقوبي، تاريخ : ٢/ ٤٥٠ ؛ ان سعيد بن الساحور، وأبو البط ومحمد بن إبراهيم الأفريقي كانوا يغيرون ولاءاتهم كما يغيّرون ملابسهم. ينظر مثلاً الطبري : ٨/ ٥٥٩.

(٤) الطبري، تاريخ : ٨/ ٥٥٨.

وطوق منزله ومسجده في قلب الحربية واضطر سهل إلى الانسحاب والاختفاء قبل ان يكتمل تطويق مقر قيادته.

ويبدو ان إلقاء القبض عليه في إحدى الليالي بعد ذلك تم بنفس الطريقة الغادرة من شراء الذمم حيث جلب إلى إسحاق بن موسى الهادي الذي كان ولي عهد إبراهيم بن المهدي، حيث اتهمه بالتحريض على مقاومة الخليفة إبراهيم ورد عليه سهل (إنما كانت دعوتي عباسية، وإنما كنت أدعو إلى العمل بالكتاب والسنة، وأنا على ما كنت أدعوكم إليه الساعة) وقد رفضوا دعوته من منطق القوة وانه رهين بأيديهم وهنا طلبوا منه أن يتراجع أمام جماهير بغداد عن أفكاره ودعوته حال الظالمين في كل زمان ومكان عندما يصورون الحق باطلاً والباطل حقاً، بل طلبوا منه بصيغة محددة او كما يقال اليوم كتبوا له خطاباً على لسانه لكي يلقيه أمام الجماهير وملخص هذا الخطاب(إنما كنت أدعوكم إليه باطل) إلا انه خيب آماله فقد قال للجماهير التي احتشدت لسماع قائدها الأسير (قد علمتم ما كنت أدعوكم إليه من العمل بالكتاب والسنة، وأنا أدعوكم إليه الساعة) وكان جزاء سهل على ذلك الضرب والصفع ولوي عنقه، وكان رد فعل الجماهير على إهانة قائدها الصمت الكافر فهتف صارخاً في هذه الجماهير المتخاذلة (المغرور من غررتموه يا أهل الحربية) كان لسان حاله الغاضب يتساءل أين النصرة ؟ أين البيعة على الجهاد ؟ أين الاستعداد للشهادة ؟ نقل سهل بعد ذلك إلى مقر إبراهيم بن المهدي في المدائن حيث أعيدت محاكمته من جديد وردد نفس الأفكار التي جهر بها بشجاعته أمام إسحاق في بغداد، فاضطر الخليفة المغني إلى سجنه في مكان سري وادعى أمام الناس المتلهفين لسماع أخباره ان عيسى بن محمد قام بقتله لكي يقضوا على أية محاولة قد يقوم بها أنصاره المخلصون لتحريره حيث بقي في سجنه سنة كاملة[1].

ان غياب سهل بن سلامة عن الساحة لم يحسن موقف إبراهيم الذي كان يستند على قاعدة واهية من أنصار وصوليين يغيرون معسكرهم كما يغيرون ملابسهم، فقد خانه هؤلاء القادة وعلى رأسهم عيسى بن محمد وسرعان ما دخل المأمون بغداد في صفر ٢٠٤هـ/ ٨١٩م ليختفي الخليفة المغني بعد حكم دام حوالي السنتين[2].

ولابد من الإشارة إلى ان إبراهيم حاول عندما ساءت أحواله وضعفت سلطته ولا سيما بعد تقدم قائد المأمون حميد الطوسي نحو بغداد ان يستفيد من سهل مرة أخرى.

---

(١) المصدر نفسه : ٨/ ٥٦٢-٥٦٤.

(٢) المصدر السابق : ٨/ ٥٦٩-٥٧٠.

حيث أطلق سراحه بشكل جزئي وطلب منه العودة إلى ما كان يدعو إليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعاد إلى جامع الرصافة وليس إلى مقره السابق في الحربية ويظهر ان هذا التغير جاء بأمر من إبراهيم نفسه لمنع عودة سهل إلى قاعدته التي دعمته منذ البداية وهي الحربية فكان يدعو نهاراً في جامع الرصافة ثم يعاد إلى سجنه ليلاً، وعندما أخذ أنصاره بالتوافد إليه من جديد، رفض الانجرار إلى الفخ الذي نصبه له إبراهيم وهو ان تصب المياه في طاحونته من أجل دوام حكمه وتقويته وليس في طاحونة سهل فصارح أنصاره وطلب منهم أن يلزموا بيوتهم وعدم تقديم أنفسهم وقوداً لإدامة ماكنة إبراهيم التي مارست معهم القهر والإرهاب، وعندما اضطر إبراهيم إلى إطلاق سراحه عندما اقتحم حميد الطوسي بغداد لجأ سهل إلى الاختفاء[1].

دخل المأمون بغداد عام ٢٠٤هـ/ ٨١٩ م معيداً إليها الأمن والنظام واختفى الخليفة المغني وقد ظهر سهل من مخبئه وبايع المأمون، ويبدو ان المأمون أحسن معاملته، فقد خصص له راتباً [2]. ويظهر ان مهمة سهل قد انتهت بدخول المأمون بغداد، ومن الطبيعي أن تكون العلاقة بين الاثنين اعتيادية فسهل كما عبر عن نفسه عباسي الولاء، وبالتالي لا يمكن الركون كثيراً إلى رواية الخطيب الاسكافي[3] التي أشارت إلى ان المأمون كره معاقبته خوفاً من ان يفسد قلوب أهل (الديانة والرعية) وتشير الرواية نفسها إلى تعيينه على صدقات إقليم الجبل فنال احترامه من قلوب أنصاره لقبوله المنصب، ثم ان المأمون أرسل بعد مدة من حاسبه فوجده قد اختلس من أموال الصدقات فحبسه إلى أن مات.

ان أهمية رواية الاسكافي تكمن في تعيينه على صدقات الجبل وقبول سهل المنصب ولربما أراد المأمون من وراء هذا التعيين إبعاده عن أنصاره، وبالتالي التخلص بشكل لا يثير الشبهات والمشكلات من شخص كسب احترام الناس في أثناء المحنة ويمكن أن يشكل بؤرة تستقطب الرأي العام عند حدوث أية أزمة جديدة كما ان حبسه ان ثبت ربما يندرج في السياق نفسه.

أخيراً يمكن القول ان أهمية حركة سهل بن سلامة تكمن في انها استطاعت أن تسيطر على الأوضاع لمدة سنة كاملة، قدمت خلالها تجربة إسلامية تزعمها قائد جماهيري

---

(١) المصدر نفسه : ٨/ ٥٧١-٥٧٢.
(٢) الذهبي، سير : ١١/ ١٦٦.
(٣) لطف التدبير : ص٥٨.

حاول أن يصحح الانحراف الذي شمل معظم نواحي الحياة وان كان على رقعة جغرافية محددة ولكن في أكبر مدينة في العالم الإسلامي آنـذاك، ومركـز الخلافـة وقـاعدة العلمـاء ومركز الإشعاع الفكـري، واعتمـدت علـى جماهـير النـاس البسـطاء الـتي ملـت الظلـم والانحراف وجاهلية جديدة، استعارت أسماء إسلامية ومارست حكماً كسـروياً وظلمـاً اقتصادياً وانحرافاً اجتماعياً يرفضه الإسلام أولاً وآخراً.

ان عدم نجاح التجربة في بلوغ أهدافها كاملة لا يقلل من قيمتها، فقد قدمت صورة مشرقة لمدة سنة كاملة وسط ظلام دامس، نفذت خلالها حكـم الشـورى الـذي افتقدتـه الأمة طويلاً، وأظهرت ان العلم لا يجدي نفعاً بلا آلية لتطبيق مـا جـاء بـه مـن المبـادئ، فحلقات العلماء وكتبهم وطلبتهم لا يمكن أن تصنع الحياة الإسـلامية إذا ظلـت حبيسـة جدران المساجد، ولم تنزل إلى الشارع، ولم تحاول أن تنظم نفسها كي تكـون نـداً للظـالمين الذي يحملون قيم الجاهلية بأطر إسلامية مزيفة.

ان استمرار الظلم الاجتماعي والتسلط السياسي القهري الذي عانت منه الأمة في بعض حلقات تاريخها مصحوباً بتقصير معظم النخبة المثقفة من الفقهاء والمحدثين والقضاة والوعاظ والإداريين والأدباء وغيرهم في الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنـهي عـن المنكـر وتبصير الناس بشؤون دينهم هي الـتي أدت إلى ظـهور الحركـات المنحرفـة الـتي لوحـت للمستضعفين من أبناء الأمة بشعارات إسلامية بشرت بـالعدل، والقضـاء علـى الظلـم، وهي في حقيقتها شعارات ظاهرية تخفـي وراءهـا انحرافـاً خطـيراً في العقيـدة والممارسـة فظهرت حركات الزنج والقرامطة التي هزت الأمة في القرنين الثـالث والرابـع وأسـالت الدماء أنهاراً وأهلكت الحرث والنسل. وأخيراً لم تذكر المصادر التي تنـاولت حيـاة سـهل سنة ولادته ووفاته، فهل مات خارج بغداد نسياً منسياً ؟

أحمد بن نصر الخزاعي

هو أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي، لم تسجل المصادر التي ترجمت له سنة ولادته، ينتمي إلى عائلة عرفت بولائها المطلق للعباسيين، فقد كان جده مالك بن الهيثم، أحد نقباء الثورة العباسية عام ١٣٢هـ/ ٧٤٩ م [١] كما نسب إلى أبيه نصر بن مالك سويقة نصر في بغداد [٢]، وتولى ابن عمه المطلب بن عبد الله بن مالك ولاية مصر للمأمون سنة ١٩٣هـ/ ٨١٣ م[٣].

نشأ أحمد محباً للعلم، ولا سيما لحديث الرسول ﷺ فقد سمع من إمام دار الهجرة مالك بن أنس ومن حماد بن زيد وغيرهم، وروى عنه المحدث المشهور يحيى بن معين ويعقوب وأحمد ابنا إبراهيم الدورقي وغيرهم[٤]. فهو اذن محدث ثقة، وهذا وسام لا يحظى به إلا من وثق به رجال الحديث من أجل صيانة حديث المصطفى ﷺ، من الكذابين وأعداء الدين[٥]. ان هذه النشأة الإسلامية الصافية قد طبعته بطابع جمع بين العلم والشجاعة، في قول الحق وتطبيقه، وهي صفة لابد منها لكل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويذكر على الحكام انحرافهم عن شرع الله، فالحاكم في المنظور الإسلامي يتولى المنصب بموجب عقد مع الأمة على أن يطبق شرع الله، من كتاب وسنة والقيام بأمر الجهاد والدفاع عن دار الإسلام من الأعداء في دار الحرب. وهو يطاع طالما التزم بهذا العقد، ولا طاعة له في حالة انحرافه عنه، ولذلك نجد أن أحمد كان يندد بالخليفة الواثق[٦] والذي عرف عنه تشدده وغلظته في متابعة فرض بدعة خلق القرآن التي دعا إليها عمه المأمون، وأنصاره من المعتزلة، المترفين فكرياً، والمتأثرين بالفلسفة اليونانية، البعيدة عن عقيدتنا، ولا سيما أن رجل المعتزلة أحمد بن أبي داؤد، ظل يمارس تأثيره

---

(١) الطبري، ٩/ ١٣٥ ؛ الرازي، الجرح والتعديل : ٢/ ٧٩ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ : ٥/ ١٧٣-١٧٤ ؛ السمعاني : ٢/ ٥٣٨ ؛ ابن حجر، تهذيب، ١/ ٨٧.

(٢) السمعامي، المصدر السابق : ٢/ ٣٥٨ ؛ سويقة نصر : تقع في الجانب الشرقي من بغداد، أقطعها المهدي لنصر بن مالك. ياقوت، معجم البلدان : ٣/ ٢٨٨.

(٣) اليعقوبي، تاريخ : ٣/ ١٨٥ ؛ ابن تغري بردي، النجوم : ٢/ ١٥٧ .

(٤) الخطيب البغدادي، المصدر السابق : ٥/ ١٧٦ ؛ السمعاني، المصدر السابق : ٢/ ٣٥٨.

(٥) ابن حجر، المصدر السابق : ١/ ٨٧.

(٦) هناك رواية عن الخليفة المهتدي بن الواثق، تشير إلى تراجع الأخير عن دعم عقيدة خلق القرآن في عقب حوار، أفحم فيه أحمد بن أبي داؤد على يد شيخ من أهل الشام. المسعودي، مروج الذهب : ٤/ ١٩١ ؛ الخطيب البغدادي، المصدر السابق : ١/ ٧٦-٧٨.

القوي، في البلاط العباسي[1]، من أجل إدامة الإرهاب الفكري والجسدي ضد المعارضة التي قادها رجال الحديث والفقه والذين اضطر معظمهم إلى لزوم الصمت، وتأييد هذه البدعة على مضض تحت التهديد والوعيد.

من الطبيعي أن يصل هذا الموقف المعادي والمتحدي إلى أسماع صاحب الشرطة ببغداد، إسحاق بن إبراهيم وهو المسؤول عن الأمن فيها، مما أدى إلى وضع أحمد بن نصر تحت المراقبة، ومع ذلك فقد بايعه أنصاره على الثورة، ويلاحظ بروز ثلاثة رجال أدّوا دوراً مهماً في الحركة، وشكلوا مع أحمد قيادة رباعية وهم كل من أبي هارون السراج، الذي أوكل إليه قيادة تنظيم بغداد الشرقية، وآخر يقال له طالب، وقد تزعم تنظيم بغداد الغربية، وثالث وصف بأنه من أهل خرسان، وأنه من رجال صاحب الشرطة ببغداد[2]، ولم يشر إلى اسمه ولا إلى منصبه في جهاز الشرطة، وهذا أمر يثير الشبهات، فهل كان مندساً اخترق التنظيم وكشفه في الوقت المناسب ؟

ويلاحظ على أعضاء القيادة الثلاثة المذكورين آنفاً، ولا سيما أبو هارون وطالب، أنهما لم يعرف عنهما الكثير على صعيد مؤهلاتهم العلمية أو الحرفية، فضلاً عن أصولهم، مما يجعل من الصعب الحكم عل كفاءتهم وإمكانياتهم وهل كانا أهلاً للمسؤولية التي ألقيت على عاتقهما وربما كان قبول الرجل الثالث الذي كان يعمل مع صاحب شرطة بغداد في القيادة، يعود إلى حاجة التنظيم إلى عناصر عسكرية محترفة، تتولى إدارة الصراع المسلح مع قوات الخلافة المدربة والمجهزة والمدعومة بشكل جيد.

لم تشر المصادر إلى طبيعة البديل الذي قرر أحمد بن نصر وإخوانه إحلاله بدل السلطة العباسية القائمة آنذاك والمتمثلة بالواثق. وهل كان يتمثل بمبايعة رجل من آل العباس وهو الأرجح، إذ ان طبيعة الأوضاع السياسية والاجتماعية آنذاك، لم تكن ناضجة بصورة كافية للعودة إلى الشورى من جديد، وإحياء سنة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم القائمة على جعل انتخاب الخليفة بيد الأمة.

وهكذا يظهر واضحاً للعيان غياب النخبة من أهل الفقه والحديث، والتي انحنى معظمها أمام امتحان وإرهاب وبطش المعتزلة والخليفة ما عدا قلة قليلة على رأسها الإمام أحمد بن حنبل [3] وكان أنصار أحمد بن نصر المسلمين العاديين وطلبة العلم الذين

---

(١) الطبري، المصدر السابق : ٩/ ١٣٥ .
(٢) المصدر نفسه : ٩/ ١٣٥-١٣٦ .
(٣) المصدر نفسه : ٨/ ٦٣٩، ٦٤٤.

أنكروا بدعة خلق القرآن ودعوا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذلك الشعار الإسلامي الجماهيري، الذي رفعته الكثير من الحركات التي دعت إلى العودة من جديد بالمسلمين إلى الكتاب والسنة، كما طبقها الرسول ﷺ والأئمة المهديون من بعده.

يبدو ان السبب الذي دفع المعارضة في بغداد إلى اختيار أحمد لقيادة التنظيم فضلاً عن انتمائه إلى عائلة متنفذة مشهورة بولائها للعباسيين، هو دوره التاريخي في قيادة حركة عام ٢٠١هـ/ ٨١٦ م وميل الناس إليه، حيث ان رصيده الشعبي مفيد جداً لكسب الرأي العام إلى جانب الحركة[١]. كما ان انتماءه إلى عائلة موالية تاريخياً للسلطة قد يوفر للتنظيم نوعاً من الحماية بشكل أو بآخر ولو لمدة مؤقتة.

نجح التنظيم في كسب ولاء مناطق مهمة في بغداد[٢] مثل ربض عمرو بن العطاء[٣] ولا سيما أن سياسة الواثق العنيفة، ومن قبل سياسة أبيه وعمه قد جعلت أهل الحديث شهداء وأبطالاً وجعلت المعسكر المعادي لهم بقيادة الخلافة والمعتزلة، ظلمة يجب الخروج عليهم والإطاحة بهم.

كان التنظيم يمتلك الدعم المالي الضروري لتمويل الحركة، فقد بذل كل من أبي هارون وطالب المال لجلب الأنصار، وأعطي كل من انتمى إلى الحركة ديناراً [٤]، وعلى الرغم من أن التاريخ الإسلامي شهد تنظيمات سرية كفوءة في القرنين الأول والثاني[٥] وصلت إلى الذروة في أساليبها في الدعوة وطرق اتصالاتها وتمويلها والتستر على قياداتها. فانه لم يصل إلينا شيء من هذا القبيل عن تنظيم أحمد بن نصر، سوى أن الاتصالات بين القيادات الميدانية وأحمد كانت تتم ليلاً في بيته، حي تناقش المستجدات وتتخذ القرارات[٦]، وفي الوقت الذي أعدت فيه الأسلحة والأعلام التي سترفع إيذاناً بالثورة وهي خضراء مشوبة بحمرة في دور أنصار التنظيم فان أحمد تجنب وجود أي دليل مادي في داره يدينه بالتمرد على السلطة [٧] وعلى الرغم من كل الاستعدادات التي

---

(١) المصدر نفسه : ٩/ ١٣٦.
(٢) الخطيب البغدادي، المصدر السابق : ٥/ ١٧٥.
(٣) لم يشر الخطيب أثناء حديثه عن أرباض بغداد إلى موقعه، المصدر السابق : ١/ ٨٣-٨٤ ؛ الطبري، المصدر السابق : ٩/ ١٣٥ ؛ ياقوت، المصدر السابق : ٣/ ٢٥-٢٦.
(٤) الطبري، المصدر السابق : ٩/ ١٣٦.
(٥) ينظر مثلاً تنظيم الأباضية في القرن الهجري الأول وانتشاره من البصرة إلى عمان. خليفات، نشأة الحركة الأباضية.
(٦) الخطيب البغدادي، المصدر السابق : ٥/ ١٧٦.
(٧) الطبري، المصدر السابق : ٩/ ١٣٦-١٣٧.

بذلت، وإخلاص القيادة، وانقياد الرأي العام لها فقد ولدت الحركة ميتة، حيث كشف التنظيم قبل الموعد المقرر لإعلانه الثورة، واشتركت عدة عوامل في ذلك، فقد افتضح أمر تنظيم ربض بن عطاء عن طريق أحد الحرفيين المنتمين إليه وهو قصار كشفهم لصاحب الشرطة، ويظهر أن هذا القصار كان على إطلاع كبير على طبيعة تنظيم الربض، حيث تواطأ مع صاحب الشرطة في نصب كمين نجح في إلقاء القبض على قيادات التنظيم في أثناء أحد الاجتماعات، وكان القصار ضمن المجتمعين، ولم يكتف بهذا بل قدم قائمة بأسماء مناصرين آخرين للتنظيم في الربض[1].

ثم جاءت الضربة الثانية القاضية عندما كشف تنظيما الجانب الشرقي والغربي بقيادة أبي هارون وطالب، إذ ان ابني أشرس القائد[2] وكانا ضمن القيادات الميدانية ببغداد لم يكونا أهلاً للمسؤولية التي ألقيت على عاتقهما، بل لم يكونا ملتزمين إسلامياً بالمعنى المعروف، فقد كانا على علم بساعة الصفر وهي ليلة الخميس من شعبان ٢٣١هـ/ ٩٤٢ م حيث تقرع الطبول إيذاناً بالانطلاق، إلا ان شربهم النبيذ وسكرهم[3] ليلة الأربعاء قبل يوم من الموعد المقرر أدى بهم إلى قرع الطبول، وأنهار كل شيء حيث لم يلب نداءهم أحد[4] لأنه ليس الموعد المقرر كما انه أثار مسؤولي الأمن ببغداد الذين لجأوا إلى اعتقال المشتبه بهم، فاعتقل أحد عمال الحمامات ببغداد وهو عيسى الأعور، والذي أدلى باعترافات كاملة عن ابني أشرس، وهو أحمد بن نصر وآخرين، وألقي القبض في الليلة نفسها على أبي هارون وطالب[5]. وعلى الرغم من ان تفتيش منزل أحمد بن نصر لم يسفر عن شيء والذي تحداهم في العثور على أي سلاح أو أعلام، فان خادمه اعترف باتصالاته السرية مع أنصاره[6].

---

(١) المصدر نفسه : ٩/ ١٣٧، وتشير رواية الطبري إلى انه رغم كشفه للتنظيم حبس معهم ونهب داره وقطع نخله، فهل كان عميلاً مزدوجاً أم انه نسي بدوره بشكل ما ؟

(٢) لم يشر الطبري إلى اسميها الكامل ولا إلى طبيعة منزلتهما الاجتماعية أو مناصبهما

(٣) ان شرب النبيذ وما رافقه منَ انحرافات أخلاقية طارئة على المجتمع الإسلامي، إنما جاءت من خلال الاختلاط غير المنضبط في مجتمع مفتوح أمام الجواري والعبيد وبقايا العقائد الدينية القديمة وأنصارها الذين كانوا يحاولون تخريب المجتمع من الداخل، ساعدهم على ذلك فساد النخبة السياسية وضعف قادة الفكر وسلبية الكثير منهم في التصدي إلى الانحراف. ينظر التنوخي، نشوار المحاضرة : ١/ ٣٤٩، ٢/ ٢٢٧ ؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة : ص٢٢٣-٢٢٤.

(٤) هناك رواية لليعقوبي مختصرة وغامضة تشير إلى أن الثوار بعد قرع الطبول توجهوا إلى صحراء أبي السري، فألقي القبض عليهم واعترفوا على أحمد بن نصر. تاريخ : ٣/ ٢٢١.

(٥) الطبري، تاريخ : ٩/ ١٣٦-١٣٧.

(٦) المصدر نفسه، ٩/ ١٣٧ ؛ الخطيب، تاريخ : ٥/ ١٧٧.

ان انهيار التنظيم بسرعة لا يمكن أن ينسب فقط إلى القصار، وابن أشرس، ويحيى الأعور، إذ ان غياب اسم القيادي الثالث الخراساني في الحركة، والذي وصف بأنه من أصحاب صاحب الشرطة من المقبوض عليهم، أو في المحاكمات التي تلت ذلك مما يثير الشبهات القوية، وربما هو الذي اخترق التنظيم لمصلحة صاحب الشرطة، فكشف التنظيم وسرب المعلومات عنه في الوقت الملائم بالتعاون مع شرطة بغداد، ولربما أخرج الأحداث بالشكل السلبي الذي ظهرت به عن طريق سكر ابني أشرس وبعض أنصارهما الذين كانوا يعرفون ساعة الصفر، وقرعهم الطبول قبل الموعد المحدد بيوم، وكان لهذا التصرف الأرعن وقع قاتل على الرأي العام الملتزم والذي يعيش محنة عقائدية في ظل إرهاب السلطة.

ان الخطأ كان والله أعلم في الاعتماد على قيادات وشرائح وأنصار يتوفر فيهم الموقع الاجتماعي والقوة الاقتصادية، أكثر من كون الأمر يقوم على الإعداد العقائدي والإيمان بالقضية والاستعداد للتضحية في سبيلها، وليس خليطاً يكثر سواد المسلمين فحسب.

نقل أحمد وأنصاره إلى سر من رأى عاصمة الخلافة، حيث أجريت لهم محاكمة عاجلة، وفي المقابلة التي جمعته مع الخليفة وقيادات المعتزلة، لم يسأل عن تمرده بل عن عقيدته في خلق القرآن. سأله الواثق عن خلق القرآن فقال كلام الله، وكان أحمد قد استعد لاستقبال الشهادة فقد (تنور وتطيب) سأله ثانية (أفمخلوق القرآن ؟ قال هو كلام الله) استفزه ثالثة (فما تقول في ربك أتراه يوم القيامة).

(أحمد : يا أمير المؤمنين جاءت الأخبار عن رسول الله بأنه قال (ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته) فنحن على الخبر[1] .

ويشير اليعقوبي[2] إلى ان المحاكمة كانت ساخنة فقد كلم الواثق أحمد بغلظة وشتمه فرد عليه أحمد، ويبدو أن توتر الأجواء داخل المحكمة جاء بعد أن كذب الواثق أحد الأحاديث التي رواها أحمد بن نصر عن رسول الله فرد عليه أحمد غاضباً (بل أنت تكذب وقال له يا صبي) [3] . وهنا سأل الواثق حاشيته عن الحكم الذي يجب أن يتخذ بحق أحمد، فأباحوا دمه فمن قائل هو حلال الدم، بل توسل أحدهم بالخليفة بنفاق رخيص (اسقني

---

(١) الطبري، تاريخ : ٩/ ١٣٨-١٣٩ ؛ الخطيب، تاريخ : ٥/ ١٧٧.
(٢) تاريخ : ٣/ ٢٢١.
(٣) الذهبي، سير : ١١/ ١٦٦.

دمه) وكان رأي الرجل القوي في بلاط الواثق أحمد بن أبي داؤد زعيم المعتزلة الذي كان يتمنى قتله باطناً ويبدي عكس ذلك ظاهراً لكي لا يتحمل تبعة قتله، فقد طلب من الخليفة أن يستتاب لعل به عاهة او اختلالاً في العقل[1].

كانت هذه الآراء المطروحة كافية لإنزال حكم الإعدام في الشهيد، وكعادة الظلمة تفنن الواثق في اختيار طريقة الإعدام، فطلب سيف عمرو بن معدي كرب الزبيدي[2] الذي ضرب به المثل وأمر بشد عنق الشهيد وسحبها حتى يسهل للبطل الهمام أمير المؤمنين قطع رقبة المجاهد بضربة فنية، وعندما انهال سيف عمرو بيد الواثق على عنق الشهيد وقعت الضربة على الحبل، وعاجله بضربة ثانية على رأسه دون جدوى، وهنا كاد الأمر أن يتحول إلى فضيحة تنال كفاءة أمير المؤمنين كمقاتل، فامتشق أحد الخدم المماليك وهو سيما الدمشقي سيفه فقطع رأس الشهيد، وعندما سقط جسد الشهيد طعنه الواثق في بطنه كأنه أصر على تجريب هذا السيف الذي أطاح برؤوس كثيرة في الجاهلية والإسلام. حمل رأس الشهيد إلى بغداد حيث رفع على خشبة وسط حراسة مشددة وحمل جسده الطاهر إلى موقع خشبة بابك الخرمي[3] حيث صلب إلى جانبه وشتان بين ولي الله وعدو الله[4].

لقد رويت كرامات عديدة عن هذا الولي الصالح والشهيد المجاهد، فقد روى أحد شهود العيان الذين شهدوا مصرعه في مجلس الواثق (بصر عيناي وإلا فعميتا، وسمع أذناي وإلا فصمتا، أحمد بن نصر الخزاعي حيث ضرب عنقه يقول رأسه لا إله إلا الله)[5]. كل هذا زاد في شعبية أحمد، وحب الناس له، وهو الشهيد الذي رأسه ببغداد وجسده يخفق فوق سارية في سماء سر من رأى، وطأطأ الأئمة رؤوسهم إجلالاً له، ها

---

(١) الطبري، تاريخ : ٩/ ١٣٧ ؛ الخطيب، تاريخ : ٥/ ١٧٧.

(٢) أحد أبطال العرب في الجاهلية، أدرك الإسلام وقاتل في القادسية ينظر عنه الأصبهاني، الأغاني : ١٤/ ٢٤-٤٠.

(٣) حركة تدعو إلى العودة إلى العقائد الفارسية القديمة ولا سيما المزدكية، ظهرت منذ سنة ٢٠١ هـ/ ٨١٦م وهزمت عدة جيوش وسيطرت على مناطق واسعة في شمال غرب إيران والقوقاز حتى قضي عليها عام ٢٢٣هـ/ ٨٣٧ م ينظر الطبري ٨/ ٥٥٦، ٥٧٦، ٦٠١، ٦٢٢ ؛ ٩/ ١١-١٧، ٢٣-٥٥.

(٤) الطبري، تاريخ : ٩/ ١٣٩.

(٥) الخطيب، تاريخ : ٥/ ١٧٧ ؛ أبو يعلى، طبقات، ١/ ٨١ ؛ وينظر عن الكرامات التي ظهرت بعد وفاته. الخطيب : ٥/ ١٧٨-١٧٩ ؛ السمعاني، الأنساب : ٢/ ٣٥٨ ؛ أبو يعلى، طبقات : ١/ ٨١-٨٢ ؛ ابن الجوزي، صفوة الصفوة : ٢/ ٣٦٤-٣٦٥.

هو أحمد بن حنبل بطل التصدي للمحنة يقول (ما كان اسخاه لقد جاد بنفسه) وقال عنه أبو العباس بن سعد (لم يصبر في المحنة إلا أربعة كلهم من أهل مرو أحمد بن حنبل وأحمد بن نصر الخزاعي ومحمد بن نوح [1] ونعيم بن حماد[2] ولم ينج منهم سوى أحمد بن جنبل[3]).

وعندما تولى المتوكل الخلافة سنة ٢٣٣هـ/ ٨٤٧ م ورفع المحنة حاول أن يرجل الفارس الشهيد عن ساريته، لكي تلتئم الجروح وتكتمل المصالحة بين الخلافة والأمة، الا ان تجمع الجماهير ببغداد عند سماعها الخبر حول السارية التي تحمل رأسه الطاهر والخوف من حدوث فتنة أدى إلى تأجيل ذلك إلى سنة ٢٣٧هـ/ ٨٥٢ م، حيث جمع بين الرأس والجسد، وتولى ابن أخيه موسى غسله ودفنه، وسط حشود جماهيرية ضخمة في موكب مهيب، حتى ان صاحب البريد[4] أرسل برقية إلى المتوكل يصف فيها الجنازة وحشودها وتمسح العامة بها، حيث ظل الناس يزورون القبر ويتجمعون عنده مدة من الزمن، جعلت الخليفة يأمر حاكم بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر بإصدار أمر بمنع التجمعات عند القبر والخشبة التي حملت رأسه[5]. رحم الله أحمد بن نصر وكل الشهداء الذين زينوا بدمائهم طريق الأنبياء والصالحين صلوات الله عليهم أجمعين.

---

(١) محمد بن نوح : كان عالماً زاهداً مشهوراً بلسنة والتدين صاحب الإمام أحمد بن حنبل، وامتحن معه فثبت على السنة، حتى حملا في القيود إلى المأمون عندما كان في الشام ومات في العراق في عانة : ابن تغري بردي، العدد السابق : ٢/ ٢٢٩.

(٢) أحد الفقهاء المجاهدين امتحن مع أحمد بن حنبل في الفتنة مات شهيداً في سجن المعتصم في سر من رأى ت ٢٢٨هـ/ ٨٤٢ م. الخطيب البغدادي، المصدر السابق : ١٣/ ٣١٤.

(٣) الخطيب، تاريخ : ٥/ ١٧٨.

(٤) هو المسؤول الأمني في كل مدينة إسلامية ينقل الأخبار عن الوالي والقاضي وصاحب الشرطة والخراج وغيرهم من مسؤولي الدولة فضلاً عن أموال الناس العاديين والأوضاع الاقتصادية ويعتبر في هذا على جهاز سري مكون من خليط من الناس المرأة، الخادم، الطفل، الصوفي، التاجر ينظر مثلاً ابن طيفور، بغداد : ص٤١، ٥٩ ؛ البلوي سيرة أحمد بن طولون : ص١١٥-١١٧، ١٢٤ ؛ التنوخي المصدر السابق : ٣/ ١٠٢.

(٥) الطبري، تاريخ : ٩/ ١٩٠ ؛ الخطيب، تاريخ : ٥/ ١٧٩.

أسد بن الفرات

مجاهد من طراز نادر جمع بين العمل والعلم، شامي المولد فقد ولد بحران عام ١٤٢ هـ/ ٧٥٩ م، وقدم به أبوه عام ١٤٤ هـ/ ٧٦١ م ضمن جند محمد بن الأشعث الذي عينه أبو جعفر والياً على أفريقية[١]. تلقى علومه الأولية بتونس ثم رحل على عادة طلاب العلم إلى المشرق فوصل المدينة المنورة حيث تفقه على إمامها مالك بن أنس رضي الله عنه وسمع منه موطأه. وقيل أخذه عن محمد بن الحسن الشيباني، ثم رحل إلى العراق حيث لقي أصحاب أبي حنيفة النعمان، أبا يوسف، وأسد بن عمرو، ومحمد بن الحسن[٢] وكان محمد بن الحسن نعم الأستاذ لأسد، فقد جعل له فضلاً عن سماعه في النهار مع الطلبة سماعاً بالليل، ودعمه مادياً حيث منحه ثمانين ديناراً[٣].

وبعد أن تزود بعلم المدينة المنورة القائم على حديث المصطفى ﷺ وعلى رأي أهل العراق الذي يحمل لواءه تلاميذ الإمام أبي حنيفة، اتجه في طريق العودة إلى الوطن حيث وصل مصر، وتتلمذ فيها على أحد تلاميذ الإمام مالك وهو ابن القاسم، فاستفاد فائدة كبيرة من اجتهادات ابن القاسم، وقد قام أسد بجمع الأجوبة التي قدمها ابن القاسم على أسئلته، فسميت بالكتب الأسدية، ويبدو ان ابن القاسم حاله حال محمد بن الحسن كان من الأساتذة الذين يتركون بصماتهم واضحة على فكر وسلوك تلاميذهم فقد روى عن أسد قوله (قال لي ابن القاسم كنت اختم في اليوم والليلة ختمتين فقد نزلت لك عن واحدة، رغبة في إحياء العلم) ولم يكتف ابن القاسم بهذا فقط، بل أعطاه سماعه عن مالك، وهي التي سماها المصريون (الكتب المدونة) وقد بلغت الكتب التي دونها أسد عن ابن القاسم ستين كتاباً[٤].

من هذا يتبين لنا الجهد الذي بذله أسد في رحلته العلمية في الحجاز والعراق ومصر، فقد التقى مع رجال أكبر مذهبين آنذاك آخذاً بالتبلور في دولة الإسلام، وهما مذهب الإمام مالك ومذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنهما.

---

(١) ابن الابار، الحلة السيراء : ٢/ ٣٨٠ ؛ المالكي، رياض النفوس : ص١٧٢ .

(٢) القاضي عياض، ترتيب المدارك : ٢/ ٤٦٦ ؛ أبو العرب، طبقات : ص١٦٣-١٦٤ ؛ المالكي، المصدر السابق : ص١٨١ .

(٣) القاضي عياض، المصدر السابق : ٢/ ٤٦٧ ؛ المالكي، المصدر السابق : ص١٧٥-١٧٦.

(٤) القاضي عياض، المصدر السابق : ٢/ ٤٦٩.

عاد أسد إلى القيروان وطنه عام ١٨١ هـ/ ٧٩٧ م وكان عمره آنذاك حوالي ٣٩ سنة، وهي فترة النضوج والعطاء العقلي، وأخذ يساهم في بناء مجتمعه الإسلامي، ونشر الأريج العلمي الذي سهر الليالي عبر السنين الطوال من أجل الحصول على نعمة العلم، ليكون أهلاً لتبليغ رسالة المصطفى إلى الناس، وحثهم على العمل بالكتاب والسنة.

ان سيرة حياة هذا العالم الجليل فيها الكثير من المحطات التي تستوقف الباحث، يشاهد من خلالها القدوة الحسنة، والموقف الإيجابي، والعلم والعمل يتعانقان عبر مسيرة الحياة اليومية وسوف يتم التوقف عند محطتين الأولى توليه منصب القضاء في بلده القيروان، والثانية جهاده في فتح صقلية.

تولى أسد منصب القضاء عام ٢٠٤ هـ/ ٨١٩ م وكان عمره آنذاك حوالي ٦٢ سنة وقد تولى القضاء شريكاً للقاضي السابق أبي محرز الكناني وكلاهما عالم جليل[١]. في هذه الفترة يطالعنا أسد وهو يتصدى للانحراف الداخلي سواء على صعيد العقيدة أو على السلوك اليومي للنخبة والعامة على السواء، وقف بحزم ضد المنافقين الذين يريدون ان يزينوا للقادة المهووسين بحب الذات أعمالهم المنحرفة، بل ان يصوغوها ضمن قالب إسلامي، وكان زميله أبو محرز يشد أزره، على الرغم مما بينهما من التنافس، وهي عادة إنسانية، قد لا ينجو منها إلا القليل من البشر. ففي مجلس جمعهما مع الأمير زيادة الله الأغلبي[٢] دخل رجل فذكر للأمير انه رأى الملك جبريل هبط من السماء ومعه نور حتى وقف بين زيادة الله وصافحه، وفي رواية وقبل يديه، فابتهج الأمير لهذه الرؤيا وقال (هذا عدل يجريه الله على يدي) فقال أسد على الفور كذب الشيخ أيها الأمير فغضب الأمير ونظر إلى ابي محرز كالمحرك له لما يعلم ما بينهما فقال أبو محرز صدق أسد وكذب الشيخ ان جبريل لا ينزل بوحي إلا على نبي، وقد انقطع الوحي وهذا وأمثاله يأتونك بمثل هذا طلباً لدنياك فاتق الله فسكت الأمير وخرجا فجزى أسد أبا محرز خيراً فقال له (لله فعلت لا لك)[٣].

نعم ما أروعها من كلمة حق (لله فعلت لا لك) لقد ردع الأمير من أن يصدق هذا النفاق الرخيص والكذب الفاضح من متسول لدنيا الأمير جاءه برؤيا كاذبة من اجل حفنة من الذهب والفضة، وكان أسد وأبو محرز بهذا الموقف الرباني يطيعان الحق.

---

(١) المصدر نفسه : ٢/ ٤٧٦ ؛ المالكي، المصدر لاسابق : ص١٨٥ .
(٢) ينظر عن ترجمة ابن الأثير، الكامل : ٦/ ٣٢٨-٣٤٠ .
(٣) القاضي عياض، المصدر السابق : ٢/ ٤٧٨-٤٧٩ .

وعندما اندلع صراع على السلطة بين زيادة الله ومعارضيه بقيادة منصور الطبنذي رفض أسد دعوات المعارضة للانضمام إليهم، لأنه لم يجدهم أفضل حالاً من أميرهم الذي ثاروا عليه [1].

وكان له الموقف نفسه عام ١٩٤ هـ/ ٨٠٩ م عندما نشب النزاع بين والد زيادة الله إبراهيم بن الأغلب معارضيه بقيادة عمران بن مجالد الربيعي، وعندما حاول الثوار إجباره على الانضمام إليهم قال للرسول (قل له والله ان خرجت لأقولن للناس ان القاتل والمقتول في النار فتركه) [2]. نعم ان القاتل والمقتول في النار، إذا لم تكن النية إعلاء كلمة الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما أكثر الحركات التي دخلت في صراعات مع خصومها في السلطة من أجل الكرسي وكانت الأمة في غنى عن تأييد هذا الطرف أو ذاك طالما ان الله ورسوله ليس لهما نصيب في أمرهما.

ان تصدي أسد للانحراف الداخلي كان قد وصل كما يبدو إلى إخوانه في بقية ديار المسلمين فها هو أحد إخوانه من مصر وهو أسد بن موسى الأموي[3] يرسل إليه رسالة تصلح أن تكون منهاج عمل للمتصدين لمعالجة الانحرافات في الداخل الإسلامي[4] ورد في هذه الرسالة (اعلم يا أخي ان ما حملني على الكتب إليك ما أنكر أهل بلادك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس وحسن حالك مما أظهرت من السنة، وعيبك لأهل البدع وكثرة ذكرك لهم، وطعنك عليهم فقمعهم الله بك وشد بك ظهر أهل السنة وقواك عليهم بإظهار عيبهم والعطف عليهم وأذلهم الله بذلك فصاروا ببدعتهم مستترين فابشر يا أخي بثواب الله، واعتد به من أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد وأين هذه الأعمال من إقامة كتاب الله وإحياء سنة رسوله ﷺ وقد قال رسول الله ﷺ : من أحيا شيئاً من سنتي كنت أنا وهو في الجنة كهاتين) وضم بين اصبعيه وقال

---

(١) المصدر نفسه : ٢/ ٤٧٩، المالكي، المصدر السابق : ص١٨٥-١٨٦ .

(٢) ابن الأثير، المصدر السابق : ٦/ ٢٣٦ ؛ القاضي عياض، المصدر السابق : ٢/ ٤٧٨ .

(٣) هو أسد بن موسى الأموي الملقب بأسد السنة، كانت موطنه مصر، روى عنه شعبة وطبقته ورحل في طلب الحديث وصنف التصانيف وهو أحد الثقاة روى عنه الكثير من الفقهاء المالكية، مثل الربيع ابن سليمان الجيزي، ومحمد بن رزين. القاضي عياض، المصدر السابق : ٣/ ٨٦، ٩٢ ؛ اليافعي، مرآة الجنان : ٢/ ٥٣ ؛ ابن العماد، شذرات : ٢/ ٢٧.

(٤) هناك الكثير من الرسائل المتبادلة بين أئمة الإسلام تصلح أن تكون نموذجاً في أدب التوجيه والمشورة وأدب الاختلاف البناء لإثراء وتنشيط منافذ التهوية للتخلص من الادران وتشاهد هذه الرسائل متفرقة في كتب الفقه والتراجم وتنتظر من يجمع بعضها على الأقل لكي تطلع الأمة على كنوزها.

(أي داع دعا الى هذه فاتبع عليه كان له مثل أجر من تبعه إلى يوم القيامة، فمن يدريك يا أخي هذا الشيء من عمله، وذكر أيضاً ان لله عند كل بدعة كيد بها الإسلام ولياً لله يذب عنها وينطق بعلامتها، فاغتنم يا أخي هذا الفضل وكن من أهله فان النبي ﷺ قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن فأوصاه وقال (لان يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من كذا وكذا) وأعظم القول منه فاغتنم ذلك وادع إلى السنة، حتى يكون لك في ذلك الفة وجماعة يقومون مقامك ان حدث بك حدث فيكونون أئمة بعدك فيكون لك ثواب ذلك إلى يوم القيامة كما جاء في الأثر فاعمل على بصيرة ونية حسنة فيرد الله بك المبتدع والمفتون والزائغ الحائر فتكون خلفاً من نبيك ﷺ فاحيي كتاب الله وسنة نبيه فانك لن تلقى الله بعمل يشبه)[1].

يستطيع القارئ العزيز ان يستخرج من هذه الرسالة الكثير الذي ينير طريق الدعوة إلى الله على صعيد الإصلاح الداخلي، والبناء السليم للبيت الداخلي للأمة، والتصدي للانحراف على مستوى العقيدة او الجانب التطبيقي السلوكي. ان معركة الصالحين من أمثال أسد السائرين في درب الأنبياء لابد أن تكون قاسية ومؤلمة، الا انها ستكلل بالنصر لا محالة، فبصمود المخلصين يصبح المبدعون يعملون في الظلام كالخفافيش ولا يجرؤون على مواجهة ضوء الشمس الساطعة، وتشير الرسالة أيضاً إلى ان الجهاد في الداخل الإسلامي هو أفضل من نافلة الصلاة والصيام والحج والجهاد ضد الكفار فالمهم إقامة كتاب الله وإحياء سنة نبيه ﷺ والمجاهد في الداخل الإسلامي هو ولي من أولياء الله، وقد أعد الله لأوليائه الأمن والأمان في اليوم الآخر واطمئنان القلب والرضى في الحياة الدنيا، وتنبه الرسالة كذلك على ضرورة العمل الجماعي المنظم الواعي، ونبذ العمل الفردي (حتى يكون ألفة وجماعة) ومن هذه الجماعة تنبعث القيادات التي تصطف في صفوف احتياطية كلما ذهب صف لسبب أو لآخر حل محله الصف الذي يليه، انها الاحتياطي الدائم (ان حدث بك حدث فيكونون أئمة بعدك) وتختم الرسالة بالثقة المطلقة بوعد الله لعباده المجاهدين ان نصر الله آت لا محالة حيث يرجع المفتون والمبتدع والزائغ الحائر، وهنا لا مكان لليأس في حياة المسلم ولكن قبل الأمل والحلم المشروع بتحقيق الأهداف أن يكون هناك العمل، أما الثمرة التي هي أمل المجاهدين والمتمثلة في جعل كلمة الله هي العليا وانسحاب أئمة الكفر والضلال والانحراف من الساحة فقد تأتي الآن وقد يأتي بعد سنة وقد تكون بعد عشرات السنين فهي ستأتي حتماً إن شاء الله ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ

---

(١) الشاطبي، الاعتصام : ١/ ١٦ .

هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [1]. المحطة الثانية في حياة أسد هي جهاده في الخارج الإسلامي والمتمثلة في قيادة الحملة الإسلامية على صقلية، وليس محل هذه الدراسة المتواضعة لأسد أن تدرس هذه الحملة بكل تفاصيلها فهناك الكثير الذي كتب عنها[2]. إلا ان مما يستوقفنا هي مواقف لهذا الإمام المجاهد فعندما قرر زيادة الله الاغلبي ان يفتح صقلية عقد مجلساً حربياً حضره العلماء حيث تم تداول الإجراء الذي يجب أن يتخذ رداً على نقض أهل صقلية للهدنة مع المسلمين، وقد تم تبني الرأي الذي أبداه [3] وهو تسيير حملة إلى هذه الجزيرة. وقد تطوع أسد كأحد المجاهدين في صفوفها [4] لكي يجمع بين القول والعمل وكان يرى ان مراكب الحملة لا تحتاج إلى البحارة فقط لتسيرها وإنما هي بحاجة إلى من يجريها لهم بالكتاب والسنة[5] فما قيمة الحملة إذا لم يحكمها كتاب الله وسنة نبيه المصطفى ﷺ.

نعم ان العمل إذا لم يوضع في إطاره الصحيح ضمن ضوابط العقيدة وأولياتها سوف ينحرف لا محالة عن الهدف، وبدل أن تكون الحملة لإعلاء كلمة الله ونشر الإسلام ستتحول إلى حملة شعارها النهب والسلب والقتل والسبي[6]. وقد اختير أسد لقيادة الحملة فضلاً عن منصبه كقاض وكان عمره آنذاك سبعين عاماً [7] وعلى الرغم من ان المصادر لم تنقل إلينا اشتراكه سابقاً في حملات عسكرية على الرغم من ورود إشارة بسيطة إلى اشتراكه في فتح سردينية[8] فمن السذاجة بمكان ان نتوقع أن يرشح لقيادة حملة بحرية مهمة من غير أن يمتلك الإمكانيات الضرورية كقائد بحري، وهي مسؤولية مزدوجة، وقد أثبت أسد انه كان أهلاً للقيادة.

وعندما بدأت الحملة تتهيأ لركوب السفن من ميناء سوسة، وكانت تتكون من عشرة آلاف مقاتل وتسعمائة فارس أمر أمير أفريقية تكريماً للمجاهدين وقائدهم ان لا يبقى أحد من الرجال إلا شيعهم فركب أسد في جمع عظيم، ومعه وجوه أهل العلم

---

(١) الصافات، الآية : ١٧٣.

(٢) ينظر الدوري، صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط ؛ عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية.

(٣) المالكي، المصدر السابق : ص١٨٦ .

(٤) المصدر نفسه : ص١٨٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١/ ١٣٢.

(٥) المالكي، المصدر السابق : ص١٨٣.

(٦) يجب أن نكون صريحين وان لا نخلط الأوراق السود والبيض فان التمردات العنيفة التي اندلعت في أواخر العهد الأموي وانتشار الأفكار الخارجية الصفرية في المغرب العربي كانت نتيجة للسياسة الرعناء التي اتبعها بعض الولاة مثل يزيد بن أبي مسلم وابن الحباب السلولي.

(٧) ابن الثير، المصدر السابق : ٦/ ٣٣٣ ؛ أبو العرب، المصدر السابق : ص١٦٥.

(٨) القاضي عياض، المصدر السابق : ٢/ ٤٧٧ .

والناس وقد صهلت الخيل وخفقت البنود وقرعت الطبول فقال آنذاك (لا إله إلا الله وحده لا شريك له والله يا معشر الناس ما ولي لي أب ولا جد ولا رأى أحد من سلفي مثل هذا، وما بلغت ما ترون إلا بالأقلام فاجهدوا أنفسكم فيها وثابروا على تدوين العلم تنالوا به الدنيا والآخرة)[1] وكان ضمن الحملة قوات من نصارى صقلية موالية للمسلمين بقيادة قائدهم فيمي، وعلى الرغم من موالاتهم للمسلمين إلا ان أسد رفض أن يستعين بهم عند نزول قواته أرض الجزيرة وقال (لا حاجة بنا إلى الانتصار بالكافرين)[2] وشوهد في المعركة وهو يحمل الراية ويزمزم وهو يتلو (سورة يس) ويحرض الناس حتى هزم الكفار، وكانت الدماء تسيل مع قناة اللواء حتى صارت تحت إبطه[3].

وعندما عانت الحملة في أثناء محاولاتها الاستيلاء على أرض الجزيرة الواسعة وعاصمتها من مصاعب تمثلت في قلة التموينات، وضراوة مقاومة الأعداء، وتواطؤ فيمي مع أبناء قومه، ظهرت بادرة انهزامية قادها أحد رجال الحملة يدعى ابن قادم مطالبة بعودة الحملة إلى الوطن وكان رد فعل أسد حاسماً (ما كنت لأكسر غزوة في المسلمين، وفي المسلمين خير كثير) وعندما تمادى المنهزمون في غيهم هدد بحرق سفن العودة وردع زعيم المنهزمين وعاقبه ثم أنزل الله نصره[4] أثبت أسد انه كما قال هو عن نفسه[5] وعلى الرغم من انه في السبعين من عمره، حيث ظل يحقق النصر تلو النصر حتى استشهد في حصار سرقوسة عاصمة[6] عام ٢١٣ هـ/ ٨٢٨ م.

---

(١) المصدر نفسه : ٢/ ٤٧٧ ؛ النباهي، قضاة : ص١٨٤-١٨٨ .

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ضمن كتاب المكتبة العربية الصقلية : ص١٧٢ ؛ المالكي، المصدر السابق : ص١٨٨.

(٣) القاضي عياض، المصدر السابق : ٢/ ٤٧٧.

(٤) المالكي، المصدر السابق : ص١٨٨-١٨٩ .

(٥) كان أسد يقول (أنا أسد وهو خير الوحوش وأبي الفرات وهو خير المياه وجدي سنان وهو خير السلاح). القاضي عياض، المصدر السابق : ٢/ ٤٨٠

(٦) المالكي، المصدر السابق : ص١٨٩، وهناك من يقول انه توفي في أثناء انتشار الوباء في قوات الحملة. ابن الأثير، الكامل : ٦/ ٣٣٦ ؛ وهناك رواية ثالثة لابن الابار تشير إلى ان الوفاة طبيعية. الحلة السيراء : ٢/ ٣٨١.

الإمام أحمد السرماري

لم يصل إلينا من سيرة هذا الإمام الزاهد المجاهد احمد بن اسحاق السرماري، سوى أسطر قليلة على الرغم من أهميته رجل علم وجهاد[1] ويكفيه أنه أحد شيوخ الإمام البخاري ﷺ ويبدو ان السبب في شحة المعلومات يعود إلى عاملين الأول فقدان الكتب التي تحدثت عنه فقد أشار السمعاني[2] مثلاً إلى أن صاحب تاريخ بخارى لديه ثلاث صفحات عن شجاعته وجهاده، وعند الرجوع إلى تاريخ بخارى للنرشخي لم نجد شيئاً إذ ان ما هو موجود بين أيدينا من تاريخ النرشخي إنما هو التلخيص الفارسي الذي ترجم حديثاً إلى العربية، وليس النص الأول المفقود، كما أن هناك تاريخاً آخر لبخارى لمحمد بن أحمد البخاري، وهو أقدم من النرشخي لم يصل إلينا كذلك[3]. أما السبب الثاني في شحة المعلومات فيعود إلى أن كتب التراجم لم تتناوله بل هناك ترجمة بسيطة عنه لدى البخاري[4] ويعود الفضل في تسليط الأضواء عليه للسمعاني والإمامين الذهبي، وابن حجر العسقلاني، فقد أشار إليه الأول في النسبة إلى سرماري والثاني في الإعلام والثالث في تهذيب التهذيب.

ولد هذا الإمام الجليل في قرية سرماري التي تبعد حوالي عشرين كيلومتراً عن بخارى تلك المدينة الجميلة الراقدة في أحضان الخضرة الممتدة إلى ما لا نهاية في وادي نهر السند والواقعة الآن في جمهورية أوزبكستان التي أخذت تعود إلى إسلامها ببطء بعد تحررها من سيطرة الروس[5].

أصبحت بخارى بعد التحرير الإسلامي تستنشق عبق القرآن والحديث في مساجدها ومدارسها وغبار الجهاد، حيث الجهاد مع كفار الترك فيما وراء النهرين

---

(١) ترك من الكتب الزيارات في الفروع، ومناسك الحج، والوجيز الجامع في الفروع. البغدادي، هدية العارفين : ١/ ٤٠٠.

(٢) الأنساب : ٣/ ٢٤٧.

(٣) بارتولد، تركستان : ص٧٦ .

(٤) التاريخ الكبير : ½، أبو لبابة حسين، الباجي : ١/ ٣١٢ .

(٥) ومما يبعث الأمل في النفوس ان مسلمي القوقاز كانوا الأكثر حمية لإسلامهم على الرغم من بقائهم فيما يسمى الاتحاد الروسي، فقد أعلنت الشيشان استقلالها وأخذت تجاهد الروس المحتلين وطبقت الشريعة وكذلك داغستان التي في طريقها للتطبيق على الرغم من بقائهما ضمن روسيا ويسير على نفس الطريق مسلمو بشكيريا وتتاريا والانغوش والاوستيين والادريت وغيرهم من شعوب القوقاز والفولغا والاورال والقرم.

العظيمين سيحون وجيحون (أمورداريا وسرداريا) وقد استنشق إمامنا السرماري العبقين معاً. وكان من أبرز شيوخه الذين أخذ عنهم عثمان بن عمر بن فارس، وعبيد الله بن موسى، وعمرو بن عاصم، ويعلى بن عبيد، وأبو نعيم الفضل بن دكين، وطبقتهم، أما أبرز تلاميذه الذين – أخذوا عنه فهو محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح، وعبيد الله بن واصل، وإدريس بن عبدك وابنه أبو صفوان إسحاق بن محمد[1]. وإذا كان السرماري إماماً في العلم والزهد فقد كان فارساً لا يشق له غبار في جبهة الترك، وهي من الجبهات المنسية التي لم تسلط عليها الأضواء لحد الآن سواء في الدراسات الأكاديمية أو الكتب العامة التي تناولت جهاد الأمة بعكس الأمر على الجبهات الأخرى، ولا سيما الجبهة البيزنطية التي ظلت العدو التاريخي للأمة منذ عهد المصطفى ﷺ في غزوة تبوك[2]، وحتى تحرير القسطنطينية على يد المجاهد محمد الفاتح ٨٥٧ هـ/ ١٤٥٣ م والتي أصبحت تسمى بعد ذلك دار اسلام (إسلام بول).

لم تكن جبهة الترك أقل أهمية بل ان القادة المسلمين منذ عهد الراشدين فما بعده بذلوا جهوداً جبارة في صد هجماتهم ودحرها، وفي نشر الإسلام بين الأقوام التركية التي تشكل طوفاناً لا ينتهي من الحركات (الخيام) التي تتدفق نحو الأراضي الخصبة والمدن الغنية في مناطق السهوب الآسيوية، قبائل رعوية من طراز خاص متعطشة للدماء والغنائم، استطاع الإسلام أن يهضمها ببطء بقيمه الربانية وأن ينقلهم من الكفر إلى الإيمان، فأصبح دور الأتراك في الحضارة الإسلامية وفي حماية الإسلام حاسماً لا يقل عن بقية إخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان.

لم يركن السرماري إلى حلقات العلم تلميذاً أو أستاذاً فحسب وإنما مارس العلم والجهاد معاً، فكان متطوعاً في الحملات التي تخرج لجهاد هؤلاء أو لصد هجماتهم، ولذلك اشتهر بلقب المطوعي[3] حيث كان المطوعون لا يقلون أهمية عن القوات النظامية في الدفاع والهجوم، كما هو الحال في بقية الثغور الإسلامية في أرمينية

---

(١) السمعاني، المصدر السابق : ٣/ ٢٤٧-٢٤٨ ؛ الذهبي، سير : ١٣/ ٣٧ .

(٢) يتحرج البعض من المفكرين الانهزاميين من إطلاق كلمة غزو أو غزوة على معارك الدعوة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ وفي العهود الإسلامية اللاحقة، وذلك لتغير المعنى في الوقت الحاضر وارتباط الكلمة بالغزو الاستعماري الذي يعني السيطرة والسلب والنهب والقتل ولو رجعنا إلى معنى الكلمة في اللغة العربية لا تضح الحق وزال الجهل والحرج فالغزو لغة يعني قصد العدو لمقاتلته. ينظر ابن دريد، جمهرة ٣/ ١١ ؛ ابن منظور ١٩/ ٣٥٩ .

(٣) السمعاني، المصدر السابق : ٣/ ٢٤٧ .

وأذربيجان (جبهة القوقاز) وفي شمال الشام والجزيرة (ثغور الروم) وفي كل رباطات المجاهدين على طول السواحل الشرقية والجنوبية والغربية للبحر المتوسط وفي جزره المحررة وإلى شمال الأندلس حيث الحدود الشمالية للأمة مع أوربا الغربية.

وصف السرماري بأنه (فاق أهل زمانه في الشجاعة وقتل الكفار، حتى قيل لم يكن في الإسلام له نظير في هذا المعنى) [1] وكان يرى أن قائد المجاهدين الغزاة ينبغي أن يتمتع بعشر خصال اكتسبها من خلال خبرته الحربية ولا تزال لحد الآن صالحة على الرغم من تطور الفن الحربي (أن يكون في قلب الأسد لا يجبن، وفي كبر النمر لا يتواضع، وفي شجاعة الدب يقتل بجوارحه كلها، وفي حملة الخنزير لا يولي دبره، وفي غارة الذئب إذا ايس من وجه أغار من وجه، وفي حمل السلاح كالنملة تحمل أكثر من وزنها، وفي الثبات كالصخر، وفي الصبر كالحمار، وفي الوقاحة كالكلب لو دخل صيده النار لدخل خلفه وفي التماس الفرصة كالديك) [2].

وينقل عنه تلميذه عبد الله بن واصل أنه سمعه يقول عن سيفه (اعلم يقيناً اني قتلت به ألف تركي ولو لا أن يكون بدعة لأمرت أن يدفن معي) [3] انها الشجاعة والتواضع بأروع صورة، وإلى جانب كل ذلك نرى تمسك هذا الإمام بسنة المصطفى ﷺ فهو يرفض أن يبتدع في الإسلام ما ليس منه، واشتهر فضلاً عن سيفه بعموده الحديدي الذي ضرب به المثل والذي كان يزن (١٨) منا فلما شاخ جعله (١٢) منا [4].

أما عن نزاهته وزهده في الدنيا، فلم يصل إلينا عدا أسطر قليلة فقد روى ابنه إسحاق ان الخليفة المأمون العباسي وهب له (٣٠) ألف درهم وعشرة أقواس وجارية فلم يقبلها [5]. توفي إمامنا إلى رحمة الله ورضوانه عام ٢٤٢ هـ/ ٨٥٦ م في سرماري، وبلغ كراء الدابة من بخارى إلى قريته عشرة دراهم على قصر المسافة وذلك لازدحام الناس من أجل الصلاة عليه لحبهم إياه، وقد خلف ديوناً كثيرة نتيجة كرمه وجهاده فكان دائنوه حباً له يشترون من تركته حزمة القصب بخمسين درهماً إلى مائة درهم حباً له فما رجعوا حتى قضي دينه [6].

---

(١) السمعاني، المصدر السابق : ٣/ ٢٤٧ ؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب : ١١/ ١٤ .
(٢) الذهبي، المصدر السابق : ١٣/ ٣٧-٣٨ .
(٣) المصدر نفسه : ١٣/ ٤٠ ؛ ابن حجر، المصدر السابق : ١/ ١٤.
(٤) الذهبي، المصدر السابق : ١٣/ ٣٩ .
(٥) الذهبي، المصدر نفسه : ١٣/ ٤٠ ؛ ابن حجر، المصدر السابق : ١/ ١٣ .
(٦) الذهبي، المصدر السابق : ١٣/ ٣٩.

بكار بن قتيبة

ينتهي نسب هذا الإمام المجاهد إلى الصحابي الجليل الحارث بن كلدة الثقفي صاحب المصطفى ﷺ [١] ولد في البصرة عام ١٨٢ هـ/ ٧٩٨ م [٢] وتلقى العلم فيها على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه على هلال بن يحيى وهو من أصحاب أبي يوسف، وزفر ابن الهذيل وأخذ عنه علم الشروط وسمع من المحدثين أبي داؤد الطيالسي ويزيد بن هارون، وحدث عن عبد الصمد بن عبد الوارث وصفوان بن عيسى الزهري ومؤمل بن إسماعيل، وروى عنه الإمام الطحاوي صاحب العقيدة الطحاوية المشهورة لدى أهل السنة، وبه انتفع وتخرج. وروى عنه أيضاً أبو عوانة في صحيحه وإمام الأئمة أبو بكر بن خزيمة [٣] وهو أول قاض حنفي يتولى القضاء في مصر في عهد الخليفة العباسي المتوكل سنة ٢٤٦هـ/ ٨٦٠ م [٤] ويروى عنه أنه عند وصوله مصر التقى مع سلفه المعزول القاضي محمد بن أبي الليث والذي كان يتهيأ للعودة إلى العراق، وطلب منه النصيحة في من يعتمد عليه في أداء مهمته الحساسة والشاقة وهي القضاء، وقد محضه ابن أبي الليث النصيحة طاعة لله [٥].

لم يكن بكار يختلف كثيراً عن بقية إخوانه من القضاة العادلين في دار الإسلام من حيث تمسكه بالحق ووعظ نفسه، وحث الأمناء والشهود على أداء حقوق الله [٦] وكانت علاقته مع والي مصر أحمد بن طولون [٧] أكثر من جيدة، فقد عرف لهذا القاضي علمه ونزاهته وصدقه، وكان يكرمه في السنة ألف دينار، خارجاً عن أجر القضاء [٨] إلا ان هذه

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان : ١/ ٢٧٩ ؛ القرشي، الجواهر المضية : ١/ ١٦٨.

(٢) المصدر نفسه : ١/ ٢٨٠ ؛ القرشي، المصدر السابق : ١/ ١٦٨.

(٣) المصدر نفسه : ١/ ١٦٨-١٦٩ ؛ هناك الكثير ممن روى وتتلمذ عليه. ينظر للمزيد : ابن حجر، رفع الأصر : ١/ ١٤٠-١٤١.

(٤) المصدر نفسه : ١/ ١٤٠-١٤١.

(٥) القرشي، المصدر السابق : ١/ ١٧٠ ؛ ابن حجر، المصدر السابق : ١/ ١٤٢.

(٦) بن خلكان، المصدر السابق : ١/ ٢٧٩ ؛ ابن حجر، المصدر السابق : ١/ ١٤٤.

(٧) والي مصر والشام يشبه الحجاج من وجوه عديدة من حيث وجود إيجابيات لديه من خلال حرصه على سلامة الأرض الإسلامية وجهاده الأعداء في الخارج الإسلامي وعفته الأخلاقية والمالية، وسلبياته المتمثلة في عشقه للسلطة ولو سالت الدماء أنهاراً وقسوته وبطشه في التعامل مع معارضيه. ينظر للمزيد عن حياته. البلوي، سيرة أحمد بن طولون ؛ ابن الجوزي، المنتظم : ٦/ ٧١-٧٣ ؛ الذهبي، سير : ١٣/ ٩٤-٩٦.

(٨) الكندي، الولاة : ص١٤٤ ؛ ابن خلكان، المصدر السابق : ١/ ١٧٩.

العلاقة الجيدة لم تحل بينه وبين إبداء الرأي الشرعي، حتى وإن كان هذا الرأي يصطدم مع رغبات سيد مصر.

كانت الدولة العباسية قد ضعفت، ولم يبق من هيبة الخلفاء إلا القليل بعد مقتل الخليفة المتوكل عام ٢٤٧ هـ/ ٨٦١ م، وتدخل الأتراك في شؤون الدولة، بحيث أصبح الخلفاء ألعوبة بأيديهم فخلعوهم وقتلوهم بطريقة وحشية[١]، ولم تستطع الخلافة أن تستعيد بعضاً من عافيتها وهيبتها إلى أن تولى الموفق بالله بن المتوكل ولاية العهد في عهد الخليفة المعتمد بن المتوكل، والذي امتاز مع ابنه المعتضد والذي تولى الخلافة بعد وفاة عمه المعتمد بالشجاعة والإدارة الحازمة، فاستطاعا أن يقضيا على الحركة التخريبية المسماة حركة الزنج[٢] والتي حولت جنوب العراق ومنطقة الأحواز إلى أنقاض وخربوا البصرة حتى ضرب المثل بخرابها [٣].

لم يكن من مصلحة حكام الولايات كابن طولون الذي كان يتمتع باستقلال حقيقي سوى علاقة واهية مع بغداد تتمثل بالخطبة والسكة ومبلغ زهيد من المال يرسل سنوياً أن تستعيد الخلافة قوتها في الوقت الذي عرف عن المعتمد لهوه وشربه وجواريه[٤] لذلك تمت اتصالات بين ابن طولون والمعتمد للإطاحة بالموفق عن طريق لجوء الخليفة إلى الشام حيث يكون بانتظاره ابن طولون، وبذلك يملك المسوّغ الشرعي لإعلان الحرب على الموفق بحجة استعادة سلطات الخليفة التي سلبها إياه أخوه الموفق، إلا ان العملية كلها فشلت وأعيد المعتمد إلى بغداد قبل دخوله الشام[٥].

حاول ابن طولون وهو السياسي الداهية أن ينزع الشرعية عن الموفق وأن يتهمه بالحجر على الخليفة الشرعي واغتصاب السلطة، لكسب عطف الرأي العام في مصر

---

(١) خلع وقتل الأتراك بطريقة وحشية المستعين عام ٢٥٢ هـ/ ٨٦٦ م والمعتز ٢٥٥ هـ/ ٨٦٨ م والمهتدي ٢٥٦ هـ/ ٨٦٩ م ينظر للمزيد : الطبري، تاريخ : ٩/ ٢٢٢-٢٣٠، ٣٤٨-٣٥٤، ٣٦٣-٣٦٦، ٣٨٨-٣٩٠، ٤٥٦-٤٦٩.

(٢) ينظر عن هذه الحركة الطبري، المصدر السابق : ٩/ ٤١٠، ٤٣٧، ٤٧٠-٤٧٣، ٤٧٦-٤٧٩، ٤٨١-٤٨٩، ٥٠٦، ٥٢٠-٥٢٩، ٥٣٤-٥٤٠، ٥٤٢-٥٤٣، ٥٤٦-٥٤٧، ٥٥٤-٥٥٦، ٦٠٠-٦٢٠، ٦٢٢-٦٢٧، ٦٢٨-٦٥٢، ٦٥٤-٦٦٣ .

(٣) ينظر ما فعله الزنج وزعيمهم المدعي زوار وبهتاناً الانتساب إلى آل البيت في البصرة من قتل جماعي واغتصاب وسبي وسلب وحرق تقشعر منه الأبدان، تشابه ما فعله التتر فيما بعد. الطبري، المصدر نفسه: ٩/ ٤٨١-٤٨٨.

(٤) ينظر عن حياة المعتمد، الطبري، المصدر نفسه : ١٠/ ٢٩ .

(٥) ينظر الطبري، المصدر نفسه : ٩/ ٦٢٠-٦٢١ ؛ الكندي، المصدر السابق : ص٢٢٥-٢٢٦ .

والشام وحتى البلدان الأخرى، وهكذا عقد مؤتمراً في دمشق حضره فقهاء مصر والشام وتقرر فيه خلع الموفق من ولاية العهد ولعنه ووجوب جهاده، وقد استجاب الجميع لهذه المقررات سوى ثلاثة كان على رأسهم بكار والاثنان الآخران هما محمد بن إبراهيم الاسكندراني ومهند بن موسى، وكانت حجة بكار انه لم يثبت لديه سوء معاملة الموفق لأخيه المعتمد وسجنه كما يدعي ابن طولون[1].

ان رفض بكار الانجرار وراء نزوات ومصالح حاكم مصر والشام، وهو قاضي مصر وفقيهها ومحدثها، قد هز شرعية المؤتمر وبالتالي شرعية ابن طولون نفسه، فحاول الأخير أن يتوصل إلى تفاهم مع بكار مستخدماً الترغيب والترهيب فاستدعاه إلى مقابلة خاصة وفي أثناء الحوار الذي دار بينهما حاول ابن طولون أن يثبت أحقية موقفه من خلال ان الخليفة الشرعي مسجون ومغلوب على أمره، وقد استبد أخوه بالأمر دونه، ولذلك يستحق شرعاً الخلع واللعن لخيانة الأمة ومخالفته لشرع الله، فرد عليه بكار بجنان ثابت وهدوء المسلم الواثق من عدالة موقفه، ان الموفق قد عين بولاية العهد بموجب كتاب ورد إلى مصر من قبل المعتمد، وشهد عليه المسلمون وبايعوه بناء على ذلك، وعلى رأسهم ابن طولون نفسه، فلا يجوز خلعه إلا بكتاب مماثل من الخليفة المعتمد، وقد أغضب هذا الرد ابن طولون فرد عليه بعنف بأنه قد شاخ وخرف ونقص عقله وأعجبه قول الناس فيه (بكار وبكار) ولجأ بعد هذه المقابلة إلى التشهير به عن طريق إيقافه في ميدان الفسطاط والمناداة عليه بما يجرح مشاعره وكرامته وحرقت ملابسه الرسمية السود التي كان يحضر بها مجالس القضاء ثم أخذ إلى السجن[2]. لم تشر المصادر إلى سجن صاحبيه اللذين شاركاه في موقفه الشجاع في دمشق مما يدل على ان معارضتهم ربما كانت وقتية وربما تراجعا عنها أمام الترغيب والترهيب على الأرجح[3].

دخل بكار السجن لكي يكتب لنا ملحمة رائعة عن الصمود والصبر وتحدي جبروت الظالمين، حيث بقي في السجن حتى وفاة ابن طولون، حاول خلالها الأمير عدة مرات أن يحطم معنوياته عن طريق عرضه للناس وهو مقيد عليه أوظار السجن ولم يمنعه السجن من أداء رسالته الربانية وهي تبليغ حديث المصطفى ﷺ فقد طلب أهل مصر من

---

(١) المصدر نفسه : ص٢٢٦، ٢٢٩ ؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك : ٣/ ٧٣ ؛ ابن خلكان، المصدر السابق : ١/ ٢٨١.

(٢) البلوي، المصدر السابق : ص٣١٦-٣١٧.

(٣) ومما يؤيد ذلك ان البلوي لم يشر إلى معارضة الاسكندراني وابن مهند لخلع الموفق. سيرة أحمد بن طولون : ص٢٩٧ .

ابن طولون أن يأذن لهم في السماع منه، فقد كان محدثاً أغنى أهل مصر فحملوا عنه مأذن لهم [1] فكان يحدثهم من طاق في السجن ويكتبون، فأكثر من سمع منه في آخر عمره عن هذا الطريق، كما ضرب في سجنه المثل لأهل البلاء الراقدين في سجون الظلمة فإذا كان يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ثم خرج إلى باب الدار التي هو معتقل فيها يريد الجامع فيقول له الحراس (لا سبيل إلى الخروج أيها القاضي إلا أن نؤمر بذلك فيقول لهم الله شهيد على اني أرجع إليكم، فيقولون له ما إلى ذلك سبيل فيقول اللهم اشهد اللهم اشهد ويرجع).

وقد بلغ ابن طولون ما يفعله بكار فأرسل إليه متشفياً (كيف رأيت المغلوب المقهور لا أمر له ولا نهي ولا تصرف من نفسه) [2] لا تزال هكذا حتى يرد علي كتاب المعتمد بإطلاقك[3] ولم يكتف بكل هذه المعاملة القاسية والحرب النفسية التي ما فتئ يسلطها على بكار في محنته وإنما لجأ إلى معاقبة واعتقال كل من عبر عن تعاطفه معه في محنته[4] وهذا حال الظالمين في كل عصر يظنون انهم مالكون كل شيء، وان الأمور بأيديهم دائماً وانهم خالدون مخلدون، أما المرض والقلق والموت فقد كتب على رعاياهم بل عبيدهم المبتلين بهم.

جاءت الساعة الحاسمة، فقد مرض ابن طولون واشتدت علته سنة ٢٧٠ هـ/ ٨٨٣ م وراح يستذكر أفعاله، ومنها ظلمه لبكار، فأرسل إليه قبل شهر من وفاته أقرب معاونيه وهو نسيم الخادم محاولاً إقناعه بالعدول عن موقفه وإعادة العلاقات الطيبة بينهما إلى حالها السابق قبل الأزمة، وكان رد بكار الرفض قال له حرفياً (قل له يعز علي أن يكون حرصك على ما تفارقه أكثر من ميلك إلى ما لابد لك منه، وقد اعتنتي وآذيتني لأنك تكلفني الشهادة بالبلاغات التي لا يعد لها الحكام فخف الله في امري فاني شيخ فان وأنت عليل مدنف ولعل التقاءنا بين يدي الله قريب، وقد والله نصحت لك والسلام وقام إلى صلاته) وعندما أعاد الرسول قول بكار على ابن طولون بكى وأخذ يكرر قوله (شيخ فان وعليل مدنف ولعل التقاءنا بين يدي الله عز وجل قريب) [5].

---

(١) ابن خلكان، المصدر السابق : ١/ ٢٨١ ؛ ابن حجر، المصدر السابق : ١/ ١٥٢ .

(٢) يعرض به أن المعتمد مغلوب على أمره لا حول له ولا قوة مع أخيه الموفق.

(٣) البلوي، المصدر السابق : ص٣١٧ ؛ ابن خلكان، المصدر السابق : ١/ ٢٧٩ ؛ ابن حجر، المصدر السابق : ص١٥٤ .

(٤) البلوي، المصدر نفسه : ص٣١٨ .

(٥) المصدر نفسه : ص٣٣٢ .

ثم أرسل إليه مرة أخرى وهو يعاني اشتداد المرض ومن عقدة الذنب مستغيثاً أن يحله مما فعله وكان الرد حاسماً لا يعرف المداهنة ولا الضعف[1] لم يحاول ابن طولون حاله حال أشقائه في كل عصر بعض من الحكام الذين لا يسمعون سوى صوت أهوائهم ولا يعترفون إلا بمصالحهم أن يعتذر لضحيته ويعترف بخطئه، انهم يطلبون أن تعتذر الضحايا نيابة عنهم، وإذا ما اعتذر الظالمون فان اعتذارهم يكون من فم الظالم إلى أذن المظلوم فقط وهمساً لا يسمعها سوى الله، أما الناس فانها يجب أن تظل تعتقد ان حكامها هم رسل العناية الإلهية وانهم لا يأتيهم الباطل من بين أيديهم ولا من خلفهم فهم لا يخطئون أبداً لأنهم أكبر من الشر ثم سمح أخيراً بانتقاله من سجنه إلى دار اكتريت له وسمح بزيارته من قبل ابن أخيه ومن يحبه، وعين لحراسته في إقامته الجبرية هذه رشيق الفرغاني الذي وصف بكونه شيخاً فيه دين وخير[2] وعندما وصل نبأ وفاة ابن طولون إلى شيخنا الجليل قال مات البائس[3]، نعم انه البائس، وكم من الطغاة البائيسن الذين ذهبوا إلى ربهم وأيديهم ملطخة بدماء الأبرياء المؤمنين، وتزكم أنوفهم رائحة اللحم البشري الممزق والمحترق، وتصم آذانهم صراخ الثكالى والأيتام، وأنين المعذبين.

وقد أطلق أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون الذي تولى السلطة بعد وفاة أبيه القاضي بكار في نفس اليوم الذي توفي فيه أبوه واستحله لأبيه، فكانت هذه الفعلة إحدى حسنات خمارويه، ومات بعده بعشرين يوماً سنة ٢٧٠ هـ/ ٨٨٣ م [4] وعلى الرغم من انه توفي ليلاً إلا انه لم يدفن إلا بعد صلاة العصر من شدة الزحام، وصلى عليه ابن أخيه الفقيه محمد بن الحسن عن (٨٧) عاماً [5].

رحم الله بكار بن قتيبة فقد كان حقاً من الذين قال الله في حقهم ﴿ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [6].

---

(١) الكندي، المصدر السابق : ص٤٧٨.
(٢) البلوي، المصدر السابق : ص٣٣٣ ؛ ابن حجر، المصدر السابق : ١/ ١٥٤-١٥٥ .
(٣) الكندي، المصدر السابق : ص٤٧٨ .
(٤) البلوي، المصدر السابق : ص٣٣٣ .
(٥) القرشي، المصدر السابق : ١/ ١٧٠ ؛ ابن حجر، المصدر السابق : ١/ ١٥٥ .
(٦) آل عمران، الآية : ١٤٦.

محمد بن أبي الحسام طاهر القيسي

نجم من تلك النجوم التي سطعت في سماء الأمة، الزاهد المعروف بالشهيد لم تشر المصادر إلى سنة ولادته مجاهد من بلد الفردوس المفقود، الأندلس، ذلك البلد الإسلامي الذي ظل فيه نداء الله أكبر يتردد لثمانية قرون، يرافقه عطاء حضاري لم تعرفه إسبانيا والبرتغال في تاريخها الطويل، سوى في عصرها الإسلامي.

سقطت الأندلس بتفرقنا وتثاقلنا إلى الأرض ... وميلنا إلى الترف حتى ضرب المثل بترف الأندلس، وبعزوفنا عن العلم وتوقير أهله، وفقدان الصلة بين السلطة والعلم، حتى هاجر الكثير من علماء الأندلس إلى بقية ديار المسلمين[1]. ان معظم العالم الإسلامي اليوم يعيش الظروف نفسها من التخاذل والتمزق والاستسلام التي عاشها الأندلس في عهد ملوك الطوائف والتي كانت المقدمة والنتيجة في تساقط مدن الأندلس الواحدة تلو الأخرى حتى سقطت غرناطة ٨٩٨ هـ/ ١٤٩٢ م.

ان تاريخ الأندلس سوف يبقى في النفس المسلمة جرحاً غير قابل للاندمال، وشاهد إدانة لا تغيب لأن دماءَه ما يزال يتجدد نزيفها في واقعنا المعاصر، ان محاولة تغيب دراسة التاريخ الأندلسي[2] مقصودة لحماية الحاضر العربي والواقع الإسلامي، لأن هذا الواقع تفوح منه في أحيان كثيرة رائحة النتانة السلوكية والفكرية والسياسية، وتشاهد فيه خيام القبائل المضروبة في نفوسنا واقتتالها وغزوها بعضها البعض الآخر[3]. ان عدم الاعتبار بما جرى في الأندلس، قاد إلى مأساة فلسطين، الأندلس الثانية، وإذا لم تهب الأمة من رقدتها وتعود إلى جذورها الموصولة بالكتاب والسنة، فسيكون هناك لا سامح الله فلسطين ثالثة ورابعة ....

ان مطالعة متأنية لكتب التاريخ الأندلسي[4] تظهر لنا لماذا كانت الأندلس قوية حتى منتصف القرن الخامس الهجري، كانت السلطة تحترم العلماء وتجلهم، وكان العلماء يحترمون أنفسهم وعلمهم وهدفهم خدمة الأمة، وكانت رحلاتهم إلى المشرق تكاد تكون

---

(١) ينظر علي القلصادي، رحلة القلصادي، مقدمة المحقق : ص٢٦-٢٩.

(٢) كان للأستاذين الجليلين، أستاذي الدكتور عبد الواحد ذنون طه، والأستاذ الدكتور ناطق مطلوب في جامعة الموصل الفضل في خدمة التاريخ الأندلسي بحثاً وإشرافاً فجزاهما الله خيراً.

(٣) الكتاني، الصحوة الإسلامية في الأندلس، مقدمة عمر عبيد حسنة : ص٧-٢٨ .

(٤) ينظر الضبي، بغية الملتمس ؛ الحميدي، جذوة المقتبس ؛ ابن الفرضي، تاريخ العلم والرواة للعلم بالأندلس.

القاعدة لعلماء الأندلس، فهناك النبع الصافي للكتاب والسنة، فيتلقون العلم في القيروان وتونس والقاهرة والإسكندرية ومكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس وحلب وبغداد والبصرة وواسط ووصل بعض منهم إلى الموصل[1] بل وأوغل البعض الآخر إلى مدن خراسان ووسط آسيا الإسلامية[2]. كانوا يطبقون القاعدة الذهبية للصحابي الجليل معاذ بن جبل القائلة (العلم إمام العمل والعمل تابعه) [3]، كانوا سباقين إلى سوح الجهاد حتى أصبحت الشهادة خاتمة حياة الكثير منهم[4] بل ان بعضهم كان يظن بنفسه الظنون إذا استشهد أخوه في الله ولم تكتب له الشهادة[5]، كانوا يتولون المناصب في الوزارة والشرطة والسوق والحجابة والقضاء والمظالم والشورى والأوقاف[6] بلا حساسية كتلك التي شهدناها في المشرق.

طلب أبو عبد الله التدميري محمد بن أبي الحسام العلم في حداثة سنه فرحل إلى قرطبة قعدة الأندلس، ثم اتجه إلى الشرق الإسلامي، فسكن الحرمين الشريفين ثمانية أعوام يعيش من عمل يديه، وكان خلال ذلك يرحل إلى بيت المقدس، حيث الأقصى الأسير اليوم ينادي المجاهدين ان هلموا إلى الجنة، هلموا إلى عز الداريين، كما رحل إلى العراق فلقي أبا بكر الأبهري، ثم طلب العلم في واسط، وقد عرفت عنه خلال هذه الفترة كرامات عديدة دلت على علو رتبته وزهده وعبادته التي اصبحت مضرب المثل، وشاء الله سبحانه وتعالى أن يكتب له العودة إلى وطنه مرة ثانية نظراً لإلحاح والده الذي

---

(١) للمؤلف بحث غير منشور عن الأندلسيين الذين درسوا في الموصل أو درسوا فيها أو مروا بها في أثناء رحلتهم، وكان من أبرزهم أبو الوليد الباجي، ويحيى بن سعدون القرطبي، وابن جبير.

(٢) ابن تيمية، الاستقامة : ٢/ ٢٣٠.

(٣) ابن الفرضي، المصدر السابق : ١/ ١٤٨، ١٥٢، ٢٤٤، ٢/ ٦١.

(٤) المصدر نفسه : ٢/ ١٧٩.

(٥) المصدر نفسه : ١/ ٢٦٦، ٢٨٥، ٣٠٩، ٢/ ٧، ٨٠، ١٣٩ ؛ الضبي، المصدر السابق : ص ٥١، ٥٨، ٨٣، ١٥٧، ٣٢١ ؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس : ص٤٤-٤٦، ٥٣-٥٤، ٨٥، ١٠٦ ؛ الخشني، قضاة قرطبة : ص١٨، ٢٣-٢٤، ٣٦-٣٧، ٩٠-٩١.

(٦) الثغور : تعادل الآن في المصطلحات العسكرية مناطق الحجابات، والتماس مع العدو وكانت معمورة بالقوات النظامية والمجاهدين المتطوعين، والزهاد والعلماء الذين تفرغوا للعلم والشهادة، وثغور الدولة الإسلامية التاريخية تبدأ من الشرق فيما وراء النهرين سيحون وجيحون حيث القبائل الرعوية التركية، وفي الوسط أرمينية وأذربيجان مع الترك والخزر، وثغور الروم والجزيرة مع الدولة البيزنطية، وثغور الساحل، وجزر البحر المتوسط التي أصبحت جزءاً من الدولة الإسلامية، وكانت في تماس مع الأساطيل البيزنطية والأوربية ثم في الغرب ثغور الأندلس مع الدول الإسبانية والأوربية في الشمال والشمال الشرقي والغربي.

كان ما فتئ يرسل إليه مع الحجاج من الأندلس حاثاً إياه على العودة لشوقه إليه فعاد سنة ٣٧٩ هـ/ ٩٨٧ م إلى تدمير حيث سكن في قرية قرب مدينة سرسية قاعدة إقليم تدمير، وابتنى له بيتاً بسيطاً، وجنينة عمرها بيديه، وكان يقتات من ثمرها.

لم يجلس التدميري في قريته لكي يحوقل ألف مرة ويسبح عشرة آلاف مرة، ويصلي ألف ركعة نعم كان يفعل شيئاً من ذلك، ولكن مع العمل وتهيئة البدن والروح للجهاد والعمل. فقد كان يلتحق بالمجاهدين الذين يتجهون إلى الثغور الشمالية للأندلس لجهاد العدو الكافر مع الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر[1] الذي شهدت الأندلس في عهده أحد عصورها الذهبية وشهد معه فتح سمورة وقلمرية من مدن إقليم جيليقية، بل انه قدر أخيراً أن يترك قريته بشكل نهائي لكي يرابط في الثغور حيث كان يواصل الرباط في الخطوط الأمامية، وفي عقدها الحساسة، وعرف عنه في هذه المناطق الحساسة البأس والشدة حتى تحدث أهل الثغور بحكايات عجيبة عنه، ولم يزل مرابطاً بطلبيرة إلى أن استشهد مقبلاً غير مدبر سنة ٣٧٩ هـ/ ٩٨٧ م. اللهم ارحم عبدك محمد بن أبي الحسام وكل العلماء المجاهدين[2].

---

(١) ينظر عن حياته الصوفي، تاريخ العرب في إسبانيا : ص٦١-٦٧.

(٢) الضبي، المصدر السابق : ص٧٣-٧٤ ؛ ابن الفرضي، المصدر السابق : ٢/ ٩٠.

أبو الحزم جهور بن محمد القرطبي

ان تاريخ الأندلس معين لا ينضب من التجارب الرائدة التي أثرت الحياة العربية الإسلامية فكراً وممارسة، ونحن اليوم بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى التقاط الجواهر من بين تلال من التراب والحجارة وأحياناً السباخ ... وذلك من خلال الكم الهائل من ملايين الصفحات التي وصلت إلينا من الأجداد فقهاً وحديثاً وتراجم وتفسيراً وتاريخاً وجغرافية وأدباً وعلماً تجريبياً في الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والطب وعلم الأحياء.

ومما يؤسف له أشد الأسف اننا لا نعرف عن الأندلس سوى قصة الفتح بقيادة البطلين طارق بن زياد وموسى بن نصير والأسطورة التي حفظناها منذ دراستنا الابتدائية عن حرق طارق للسفن بعد عبوره المضيق[1] كما نحفظ شيئاً عن ابن فرناس وقصة طيرانه، وزرياب وموسيقاه، وابن زيدون وولادة بنت المستكفي، وأخيراً وليس آخراً سقوط غرناطة عام ٨٩٨ هـ/ ١٤٩٢ م على يد الملكين الصليبيين فرناندو وإيزابيلا وخروج آخر ملوك بني الأحمر أبي عبد الله ذليلاً مهاناً إلى المغرب مشيعاً بلعنات التاريخ وعويل أمه المجروحة الكرامة[2] كأن الحضارة العربية الإسلامية في الفردوس المفقود التي استغرقت ثمانية قرون من العطاء الثر والبطولة والإبداع هي كل ما سبق ذكره. ان تاريخ الأندلس بحاجة إلى دراسة جديدة لكي تكشف لنا سر النجاح وسر المأساة ... فالأمة التي لا تستفيد من أخطائها أمة لا تستحق الحياة، وهي الغثاء الذي حذر منه النبي ﷺ.

يعدّ أبو الحزم من هذه الجواهر التي تستحق تركيز الأضواء عليها، وذلك من خلال التجربة الرائدة التي قدمها عندما استلم الحكم في قرطبة في ظروف عصيبة، انحلت فيها السلطة المركزية، واندثرت الخلافة الأموية، وفيما يتعلق بأصله تشير المصادر إلى ان جده الأول عبد الله كان مملوكاً لمروان بن الحكم، وأبلى معه بلاء حسناً في معركة مرج راهط[3] فكافأه مولاه على ذلك بأن أعتقه، وقد دخل أول أجداده الأندلس، وهو حسان ابن مالك سنة ١١٣ هـ/ ٧٣١ م، أي قبل دخول عبد الرحمن الداخل بخمس وعشرين

---

(١) ينظر طه، دراسات : ص٢٢.

(٢) عنان، نهاية الأندلس : ص٢٦٧.

(٣) هي معركة حدثت عام ٦٤ هـ/ ٦٨٣ م بين مروان بن الحكم وأنصاره من أجناد الشام، والضحاك بن قيس وأنصاره من هذه الأجناد وانتهت بمقتل الضحاك وانتصار مروان وتوليه الخلافة، الطبري، تاريخ : ٥/ ٥٣٥-٥٤٤.

سنة وتعاون جده أبي عبيدة مع الداخل حيث تولى له الوزارة وجعله قائداً على أشبيلية[1].

لقد هاجر أجداد أبي الحزم إلى الأندلس في وقت مبكر وارتبطوا مع العائلة الأموية برباط الولاء الذي يقترب حسب المفهوم الإسلامي من رابطة الدم، وبذلك أصبحت من العوائل التي تولت مناصب مهمة في الدولة الأموية في الأندلس، حيث وصفت عائلته بأنها بيت رئاسة ووزارة[2]، كما تعاونت هذه الأسرة مع الأسرة العامرية التي تولت السلطة الفعلية في الأندلس منذ عهد الخليفة هشام الثاني بن الحكم لثاني حيث تولت لها الوزارة[3].

لا تشير المصادر التي تناولت حياته باقتضاب إلى سنة ولادته والى نشأته وتعليمه ولكنه كما يظهر قد أخذ من الفقه والحديث بباع طويل، فقد وصف بأنه من كبار العلماء[4]. حيث أخذ عن كبار علماء عصره في الأندلس مثل أبي بكر عباس بن أصبغ الهمداني، وأبي محمد الأصلي، والقاضي أبي عبد الله بن مفرج وغيرهم، كما أخذ عنه الكثير مثل محمد بن عتاب الفقيه[5]، وتكاد تتفق المصادر على حكمته وحسن تدبيره وتدينه وعفافه ودهائه وعدم انسياقه في دروب الفتن كما فعل غيره[6].

ان هذه الصفات الشخصية هي التي جعلت الأنظار تتجه إليه في أحرج اللحظات التي عصفت بالأندلس بعد تحلل السلطة الأموية في أعقاب خلع الخليفة هشام المعتد، ومقتل وزيره حكم بن الحائك، وانتزاء القادة والأمراء على أقاليم الأندلس ومدنه متلقبين بألقاب الخلفاء كالمعتصم والمعتمد والمعتضد والقادر وهم كما وصفوا كالهر يحكي صولة الأسد.

لقد بايعه مجلس شورى الجماعة في قرطبة لإدارة أمور الأمة في عاصمة الأندلس ولم يوافق على مبايعته إلا بعد تمنع شديد، شارطاً أن يشاركه الأمر ابنا عمه الشيخان محمد بن عباس، وعبد العزيز بن حسن، إلا ان قيادات قرطبة وافقت على أن يكونا

---

(١) ابن الابار، الحلة السيراء : ١/ ٢٤٦.
(٢) الذهبي، سير أعلام : ٧/ ١٣٩ .
(٣) المراكشي، المعجب : ص١١١ .
(٤) الذهبي، المصدر السابق : ٧/ ١٣٩ .
(٥) ابن بشكوال، الصلة : ١/ ١٣١ .
(٦) المراكشي، المصدر السابق : ص١١١ ؛ الفتح بن خاقان، مطمح الأنفس : ص١٦-١٧ ؛ الذهبي، المصدر السابق : ٧/ ١٣٩ .

مستشارين له وليس مشتركين معه في القيادة[1]، وكان ضمن شروطه أن يكون توليه السلطة بشكل مؤقت حتى يصطلح الناس على أمير فيسلم إليه السلطة[2].

ابتدأ عهده بالزهد بالألقاب، ورفض حتى تلقيبه بالأمير[3] كما رفض التحول إلى قصور الخلفاء، حيث بقي في داره ثلاثة عشر عاماً. ان بعض حكام الأندلس تأنقوا في بناء القصور، بل وبنوا مدناً كاملة لسكناهم مع حاشيتهم وجواريهم ومماليكهم وخدمهم كما فعل الناصر في بنائه الزاهرة وقد ساهم هذا في إشاعة جو من الترف والبذخ والإسراف الذي قاد فيما بعد إلى حالة التردي ثم الانهيار والسقوط، في الوقت الذي كان فيه الأعداء من الاسبان ومن ورائهم أوربا في حالة إنذار دائم على الجبهة الأندلسية من أجل إيقاف الهجوم العربي الإسلامي ثم تجميعه ودحره على مراحل في سبيل الوصول إلى الهدف الرئيس وهو إعادة العرب المسلمين إلى البر الافريقي.

سيطرت حكومة أبي الحزم على رقعة متوسطة من الأندلس تمتد شمالاً إلى جبال البشرات وشرقاً حتى منابع الوادي الكبير، وغرباً حتى أستجة، وجنوباً حتى حدود ولاية غرناطة وتشمل من المدن عدا قرطبة، جيان وابدة، وبياسة، والمدور وارحونة، واندوجر[4].

كان على أبي الحزم أن يعالج مشكلتين عويصتين ساهمتا بشكل كبير في إحداث الفوضى وانعدام الأمن، فانهيار سلطة الدولة وهما المشكلة العسكرية والمشكلة الاقتصادية، وفيما يتعلق بالمشكلة الأولى أوقف استخدام قوات البربر التي احترفت الفتنة والتمرد الدائم واحتراف السلب والنهب، سوى من استقر منهم في قرطبة واندمج مع سكانها[5].

كانت معظم قواته من أهل قرطبة حيث قام بتسليح سكان المدينة ولا سيما القوى العاملة في المدينة من الحرفيين والتجار والباعة، والذين كانوا يحتفظون بأسلحتهم في دكاكينهم ومحال أعمالهم وبيوتهم، وبذلك كانوا على أهبة الاستعداد دائماً ليلاً ونهاراً لتلبية نداء القيادة في حالة التعرض لأي تهديد أو هجوم معاد[6].

---

(١) الشنتريني، الذخيرة : قسم ١، م٢ : ٦٠٢ .
(٢) المراكشي، المصدر السابق : ص١١١ .
(٣) الذهبي، المصدر السابق : ٧/ ١٣٧.
(٤) الضبي، بغية الملتمس : ص٢٤ .
(٥) عنان، دولة الطوائف : ص٢١-٢٢ .
(٦) الشنتريني، المصدر السابق : قسم ١، م٢ : ٦٠٢.

كما قام بحل مشكلة التمويل لهذه القوات بشكل ذاتي حيث كان يقوم بتفريق بعض الأموال التي كان يحتفظ بها بيت المال على التجار كودائع يقومون بتشغيلها وتنميتها [١] وما تبقى من إيرادات تصرف على حاجات الأمة[٢] فضلاً عن ان هذه القطعات الشعبية كانت تنال أموالاً من بيت المال تقوم هي الأخرى باستثمارها لكي تحتفظ بالأرباح لنفسها بينما تبقى رؤوس الأموال محفوظة[٣] وبذلك حل مشكلة رواتب وأرزاق الجند التي خلقت الفوضى في الأندلس وأحلت قيادات عسكرية قاصرة سياسياً وعقائدياً بدل القيادات المدنية الأكثر مقدرة على الإدارة.

ان نزاهة هذه القيادة وصرامتها قد جعلت الرأي العام في قرطبة يثق بها فحققت هذه التجربة الفريدة نجاحاً منقطع النظير، فقد ازدهرت الحياة الاقتصادية وعادت الحياة من جديد إلى قرطبة واستوطنها الناس الذين سبق وان غادروها بعد أن عصفت بها الفتن، وازداد العمران فيها، ورخصت الأسعار نتيجة تحسن الإنتاج وعادت مساجد قرطبة من جديد تمتلئ بأفواج المؤمنين [٤] بعد أن أدت الفتن إلى جاهلية جهلاء، ضعفت فيها العقيدة وتيبست فيها الأرواح نتيجة فقدان الأمن وشيوع الفقر والتدمير المستمر لمرافق المدينة والسلب والنهب الذي لم تنج منه الأحياء السكنية والأسواق على السواء.

ان أبا الحزم وهو يوجد ستاراً جديداً بين مالية الحاكم ومالية الأمة، إنما يعود إلى قيم الإسلام الخالدة في ضرورة تعفف القيادة عن أموال الأمة والتي اختفت في عهد الملك العضوض في العصرين الأموي والعباسي، سوى فترات قصيرة مرت كومضات في سماء مكفهرة ... حيث أصبح مال الأمة مال أمير المؤمنين، وأصبح مال الأمة يرش على الشعراء الكذابين ووعاظ السلاطين والجواري الماجنات والحاشية الفاسدة ...

ومما يذكر التاريخ عن أبي الحزم ضمن تطبيقه لقيم الأمة الخالدة التي ران عليها دخان قيم الأكاسرة والقياصرة عيادته لمرضى الرعية كما كان يشهد جنائزهم [٥] وهل هناك حبل مبارك يمتنع عن القطع يصل القائد بأمته أقوى من مشاركتهم في آلامهم وأحزانهم ومواساتهم.

---

(١) الضبي، المصدر السابق : ص٢٤ .
(٢) الذهبي، المصدر السابق : ٧-١٣٩.
(٣) الشنتريني، المصدر السابق : قسم١، م٢ : ٦٠٢ .
(٤) الضبي، المصدر السابق : ص٢٤ ؛ المراكشي، المصدر السابق : ص١١١-١١٢.
(٥) الشنتريني، المصدر السابق : قسم١، م٢ : ٦٠٤.

وأخيراً لابد من الإشارة إلى أن تجربة أبي الحزم جهور لم تلق من البحث والدراسة الجدية من قبل الباحثين إلا أقل من القليل، فقد أشار عنان [1] إلى أن حكومة أبـي الحـزم هي نموذج بديع من حكم الشورى وتساءل هل كانت ضرباً من بعد النظر والدهاء البارع يحاول به جمع الكلمة واتقاء منافسة الزعماء الأقوياء أم كان راجعاً حقاً إلى محبته للشورى والتضامن ؟.

تـوفي أبـو الحـزم عـام ٤٣٥ هـ/ ١٠٤٣ م[2] بعـد حكـم دام أربعـة عشـر عامـاً وأشهراً[3] عن عمر يناهز الواحد والسبعين[4][5].

(١) الضبي، المصدر السابق : ص٢٤.
(٢) عنان، دولة الطوائف : ص٢٢.
(٣) الشنتريني، المصدر السابق : قسم١، م٢ : ٦٠٤ ؛ الضبي، المصدر السابق : ص٢٤.
(٤) المراكشي، المصدر السابق : ص١١٢ .
(٥) ابن بشكوال، المصدر السابق : ١/ ١٣١.

الوزير ظهير الدين أبو شجاع الروذراوري

إنها صورة أخرى للمسلم العامل في صناعة الحياة، وفي أهم مفصل من مفاصلها، ألا وهو تسيير عجلة الدولة، فقد استطاع هذا الوزير العباسي أن يجتاز الامتحان، ويجيب بجدارة على سؤال صعب وحساس، كيف يمكن للمسلم أن يمارس السياسة بنجاح بكل تعقيداتها الداخلية والخارجية، وسط ظروف معقدة ومناخات جاهلية قد تمكنت من نفوس الأمة رعاة ورعية ؟.

ان قيمة أبي شجاع التاريخية تكمن في تطبيق إسلامياته من غير أن ينتظر أجراً من أحد سوى رب العالمين. فقد فهم منصب الوزارة على انها تكليف رباني يجب أن يقوم بأعبائه بنجاح تام، واستعان في التغلب على المصاعب والتحديات التي جابهته بفهم دقيق لحركة التاريخ ولا سيما في شقه الإسلامي من خلال المنظور القرآني فقدم كتابه الرائع (ذيل تجارب الأمم).

ولد أبو شجاع في قلعة كنكور[1] سنة ٤٣٧ هـ/ ١٠٤٥ م[2] ويعود أصله إلى مدينة روذراور[3] وينتمي إلى عائلة مارست السياسة فقد كان أبوه من أقرب مساعدي حاكم همدان وأصبهان وبلاد الجبل، ثم عمل في حاشية حاكم خوزستان والبصرة وواسط، وحاول الخليفة العباسي القائم بأمر الله أن يستفيد من مواهبه فحاول استيزاره بعد عزل وزيره ابن جهير الا ان الرسول الذي أرسله الخليفة وجده قد توفي، وحاول استيزار ابنه أبي الشجاع الا ان صغر سنه حال دون ذلك[4].

درس أبو شجاع الفقه والعربية وسمع الحديث على جماعة منهم العالم الشهير أبو إسحاق الشيرازي [5] وكانت ثقافته الإسلامية هذه أساساً مكيناً في بناء شخصيته، عندما

---

(١) كنكور : وصفها ياقوت بأنها بلدة صغيرة تقع ما بين همدان ونرمسين الإيرانيتين. معجم البلدان : ٤/ ٤٨٤.

(٢) العماد، خريدة القصر : القسم العراقي، ج١ : ص٧٧.

(٣) روذراور : منطقة قرب نهاوند من أعمال منطقة الجبال مشهورة بأنهارها وبساتينها. ياقوت، المصدر السابق : ٣/ ٧٨ .

(٤) ابن الجوزي، المنتظم : ٩/ ٩٠ ؛ السبكي، طبقات : ٤/ ١٣٦-١٣٧.

(٥) أبو إسحاق الشيرازي : فقيه شافعي مشهور، سكن بغداد وصار إمام وقته وتولى التدريس في النظامية بعد افتتاحها، له عدة مؤلفات، توفي ٤٧٦ هـ/ ١٠٨٤م؛ ابن خلكان، وفيات : ١/ ٢٩-٣١.

تولى مهام الوزارة للخليفة العباسي المقتدي عام ٤٧٦ هـ/ ١٠٨٣ م[١] فقد امتاز على الرغم من السيطرة السلجوقية القاسية بمحاولاته الذكية لتعزيز مركز الخليفة، على الرغم من جبروت السلاطين السلاجقة، وعرف منه سياساته التي تشير بوضوح إلى وجود قواسم مشتركة كثيرة بين الرجلين، هي التي دفعت المقتدي إلى استيزاره وصفت خلافة المقتدي بأنها كثيرة الخيرات واسعة الرزق[٢] فقد توسعت بغداد عمرانياً في عهده نتيجة لسياساته الناجحة حيث عمرت تسع محلات جديدة هي البصلية، والحلبة، والمقتدية، والأحجة، ودرب القيار، وخربة ابن جردة، وخربة الهراس، والخاتونيتين، وأمر بنفي المغنيات حيث أمر المحتسب ببيع دورهن وشهر جماعة منهن على الحمير مناديات على أنفسهن، وأبعدهن إلى الجانب الغربي من بغداد، ومنع الناس من دخول الحمامات إلا بمئزر، وقلع أبراج الحمام، ومنع اللعب بها وذلك لغيرته على حريم الرعية، ومنع الملاحين من حمل الرجال والنساء مجتمعين كما منع من إجراء ماء الحمامات إلى دجلة، وألزم أصحاب الحمامات بحفر آبار للمياه، وأمر بغسل الأسماك بعيداً عن مناطق استخدام الناس لمياه دجلة[٣].

من هذا نستخلص ان انسجام الأفكار والممارسات بين الخليفة ووزيره كان واضحاً وهكذا كون الوزير فريق عمل يساعده في أداء مسؤولياته من الفقهاء والصالحين فقد كان لا يجلس في الديوان إلا وعنده الفقهاء يستشيرهم فيما يشكل عليه ويستأنس بآرائهم[٤] ومن هذا المنطلق حاول إعادة ما درس من القيم الإسلامية في ميدان السياسة والإدارة، وكان برنامجه اليومي يتضمن قبل خروجه صباحاً إلى الديوان قراءة ما تيسر من كتاب الله العزيز، ثم يصلي ويكتب يسيراً من القرآن بيده تبركاً ويستمر في أداء واجباته

---

(١) ابن الجوزي، المصدر السابق : ٩/ ٩٠ ؛ ابن الأثير، الداخل الكامل : ١٠/ ٢٥٠ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ١٢/ ١٥٠.

(٢) وصف العماد خلافته بأنها كثيرة الخيرات والمسرات والآثار الحسنة، وأورد له شعراً يعبر عن آماله ورغبته في إحلال العدل، ورفض التسلط السلجوقي منه قوله :

اما والذي لو شاء غير ما بنا ... فاهوى بنجوم في الثريا في الثرى
وبدلنا من ظلمة الجور بعدما ... دجا ليلها صبحا من العدل مسفرا

جريدة القصر، القسم العراقي، ج١ : ص٢٥-٢٦ .

(٣) ابن الجوزي، المصدر السابق : ٨/ ٢٩٣-٢٩٤ ؛ ابن الأثير، المصدر السابق : ١٠/ ٢٣٠-٢٣١ ؛ ابن كثير، المصدر السابق : ١٢/ ١٤٦ .

(٤) المصدر نفسه : ١٢/ ١٥١.

حتى صلاة الظهر، حيث يجلس بعد الصلاة للمظالم إلى وقت العصر[1] ومن المعروف ان المظالم تعالج تجاوزات رجال الدولة الكبار فضلاً عن القضايا التي يفشل فيها القضاء في إيجاد الحلول، وكانت المظالم يتولاها أحياناً الخلفاء أنفسهم للتعبير عن حرصهم على إحقاق الحق.

ومن هذا المنطلق نجح في إعادة المفهوم الإسلامي القائم على أن الناس سواسية كأسنان المشط كما قال المصطفى ﷺ، وقد اقتدى به حكام النواحي بعد أن وجدوه يحاسب على الصغائر، فقد استدعى أحد الأمراء لأن أحد أعوانه أخذ عمامة رجل ظلماً[2] قد تبدو الحادثة تافهة حيال المظالم التي كانت ترزح تحتها مجتمعاتنا الإسلامية من خلال جور حكامها من العسكريين المتسلطين وأذنابهم من رجال الإدارة الذين فرضوا الكثير من الضرائب غير الشرعية ولجؤوا إلى استعمال درجات فائقة من القسوة في تحصيلها سواء على صعيد المدينة أو الريف. ان مدلول هذه الحادثة كبير فالنار من مستصغر الشرر، وما أكثر ما تحول الانحراف الصغير الذي قد لا يثير الانتباه إلى انحراف كبير يسمم الحياة في أوسع مساحاتها بعد ان كان أولاً على مستوى فرد واحد من أفراد أسرة واحدة.

ان القطيعة بين الصالحين من رباني هذه الأمة ورجال السلطة في مجتمعاتنا الإسلامية سرعان ما تتحول إلى بحر من الود الدافئ، وتعاون خلاق مبدع عندما يرى هؤلاء الصالحون أن هناك إمكانية للتعاون ومد الجسور بين الطرفين طالما ان الهدف واحد، وهو تحويل مفردات القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى واقع ملموس في كل جوانب الحياة الإسلامية فها هو الفقير الزاهد أبو بكر الشامي يوافق على تسلم منصب قاضي القضاة والذي يعادل في الوقت الحاضر وزارة العدل فضلاً عن شؤون البلديات والأوقاف وجزءاً من صلاحيات وزارة الداخلية، وقد قبل أبو شجاع بشروط الشامي الصارمة وهي عدم تسلمه أجراً تجاه قيامه بعمله، وأن لا يقبل شفاعة أحد ولا يغير ملابسه بملابس رسمية يرتديها القاضي تحمل شعارات الخلافة[3].

---

(١) العماد، المصدر السابق : القسم العراقي، ج١ : ص٨٦ ؛ ابن خلكان، المصدر السابق : ٥/ ١٣٧ ؛ - السبكي، المصدر السابق : ٤/ ١٣٧.

(٢) المصدر نفسه : ٤/ ١٣٨.

(٣) ابن الجوزي، المصدر السابق، ٩، ٩٢-٩٣ ؛ السبكي، المصدر السابق : ٤/ ٢٠٢-٢٠٣ .

وفي الوقت الذي قلد فيه أسلافه من وزراء بني العباس مع استثناءات قليلة خلفاءهم[1] في التحجب عن الناس والترفع عليهم، فقد امتاز أبو شجاع بالتواضع فترك الاحتجاب وأصبح بابه مفتوحاً للناس فجاءته المرأة والطفل والعوام. ان إزالة الجدران السميكة والعالية بينه بين الناس المسؤول عن خدمتهم، جعلته يطلع على أدق أحوال رعيته، ينقل إليه أحد الصالحين أن بمحلة درب القيار ببغداد أرملة مع أربعة أيتام عراة جياع في شتاء بارد، فاستدعى على الفور أحد مساعديه وأمره أن يبتاع لهم جميع ما يصلحهم، ثم خلع أثوابه وأقسم أن لا يلبسها ولا يأكل حتى يعود مساعده ويخبره أنه قد كساهم وأشبعهم، وفعلاً فقد ظل يرعد من البرد حتى عاد الرجل الذي أرسله[2].

لم تكن هذه السياسة الجديدة في التعامل مع الرعية من غير خسائر، فالمجتمع الذي تعود على النظر إلى حكامه على أنهم أنصاف آلهة ان لم يكونوا آلهة، وتقديم طقوس العبادة إليهم في كل حين، والذي تشبع بطقوس الجاهلية الجديدة عبر مئات السنين، قد لا يتأقلم فوراً مع السياسات الربانية الجديدة، بل ويعدها البعض من هؤلاء ضعفاً وسذاجة، ولذلك قد يلجأ هذا البعض إلى إحداث الفوضى عندما تصطدم مصالحهم مع المصلحة العامة، ويلجؤون عندها إلى إطلاق أبشع النعوت بحق هؤلاء الصالحين، وفعلاً فقد قام بعض هؤلاء الفوضويين بمظاهرة أمام ديوان الوزير، وعندما ضرب على أيديهم بسطوا ألسنتهم بشتى التهم المقذعة وعبر عن موقف هذه الفئة منددا بها الفقيه الحنبلي ابن عقيل بقوله (فقلت يا نفسي أفلسي كل الإفلاس ولا تثقي بهم فمن يقدر على إحسان هذا إليهم وهذه أقوالهم عنه)[3].

كما شهد عهده إسقاط الضرائب غير الشرعية (المكوس) التي استخدمها ساسة الإفساد في الأرض من أجل توفير المال لملذاتهم ولتعزيز سلطانهم الغاشم، وطبق التعاليم الإسلامية بحق أهل الذمة، وتقدم إلى المحتسب أن يؤدب كل من يفتح دكانه يوم الجمعة ويغلقه يوم السبت من البزازين وغيرهم وقال هذه مشاركة لليهود في حفظ سبتهم[4].

---

(١) ينظر مثلاً سيرة الوزير الصالح علي بن عيسى بن الجراح. الصابئ، الوزراء : ص٣٠٥-٣١٣، ٣٣٥-٣٤٤.

(٢) العماد، المصدر السابق، القسم العراقي، ج١ : ص٨٦ ؛ ابن الجوزي، المصدر السابق : ٩/ ٩١ ؛ ابن كثير، المصدر السابق : ١٢/ ١٥١ ؛ السبكي، المصدر السابق : ٤/ ١٣٨-١٣٩.

(٣) ابن الجوزي، المصدر السابق : ٩/ ٣٩.

(٤) المصدر نفسه : ٩/ ٩١ .

- عفته ونزاهته :

يظهر ما رواه المؤرخون انه نجح في اجتياز العقبات الثلاث التي زلت فيها أقدام الكثيرين ممن سبقه وهي عبادة السلطة والمال والمرأة، فلم يكن الرجل حريصاً على التشبث بالسلطة أي ثمن حيث لم ينظر إليها على انها تشريف، وإنما تكليف صعب سوف يسأل فيه عن كل صغيرة وكبيرة يوم يقوم الناس لرب العالمين، ولم يخضع لشهوة المال، حيث اتخذ الكثير من أقرانه المنصب بقرة حلوباً يحلبها حتى يسيل الدم بدل اللبن فقد تولى الوزارة وعنده ٦٠٠ ألف دينار من المواد العينية عدا النقدية، فأنفقها في الخيرات والصدقات، ويشير أحد الذين كانوا يتولون إخراج صدقاته مع عشرة رجال آخرين انه أنفق بمفرده ١٠٠ ألف دينار فضلاً عن إيقافه الوقوف الكثيرة على مؤسسات البر[١] وإنعامه المتواصل على الأرامل والأيتام، وكانت لديه مكتبة راقية ضمّت كتباً كتبت بأيدي خطاطين مشهورين، فقام ببيعها وتصدق بثمنها ويقول في هذا الصدد (أحب الأشياء إليّ الدينار والخط الحسن فأنا اخرج لله محبوبي) وكان يخرج العشر من جميع أمواله النباتية على اختلاف أنواعها زيادة في الحيطة[٢] وهو في هذا الصدد يطبق قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾[٣]. كما لم يعرف عنه عبادته للفروج وشهوانيته عبر جمعه الحرائر ومئات الجواري، كما شاع ذلك في قسم من الطبقة السياسية والطبقة المترفة في مجتمعنا الإسلامي مع الأسف.

لا يشير المؤرخون بشكل صريح إلى أسباب الكراهية التي يكنها كل من السلطان السلجوقي ملكشاه ووزيره الداهية نظام الملك للوزير أبي الشجاع، فقد أرسل نظام الملك كتاباً إلى المقتدي يأمره فيه بإبعاده عن الوزارة وحاول الخليفة بذكاء وهو يعرف حدود إمكانياته أن يصلح بين الطرفين عبر التأكيد لنظام الملك على تدين ونزاهة وكفاءة وزيره وأرسله إلى أصبهان لمقابلته، وقد نجح الخليفة عبر هذه المحاولة في إبقاء وزيره لمدة أطول[٤]

---

(١) أدّى الوقف الإسلامي دوراً بارزاً في خدمة الحياة اليومية للإنسان المسلم عبر محاوره الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والدينية والجهادية والصحية، وساهم في توفير نمط من الخدمات لم تصل إليها لحد الآن أرقى الحكومات في عالمنا الحالي.

(٢) ابن الجوزي، المصدر السابق : ٩/ ٩٠-٩١.

(٣) البقرة، الآية : ٢٦٧.

(٤) السبكي، المصدر السابق : ٤/ ١٣٧.

ويبدو ان ملكشاه أصر على الإطاحة أخيراً بالوزير الصالح حيث أمر المقتدي بعزله فعزل عام ٤٨٤ هـ/ ١٠٩١ م[١]. ويمكن تفسير الموقف السلجوقي بأنه ليس من مصلحة السلاجقة[٢] ان تستعيد الدولة العباسية عافيتها عبر وجود رجال الكفاءة يحاولون أن يعيدوا للدولة الإسلامية لبوسها الإسلامي عبر إعادة أسلمة المؤسسات وأسلمة المجتمع من خلال هذه المؤسسات.

- الوزير أبو شجاع بعد عزله :

عبرت الأمة عن عرفانها بالجميل لوزيرها الصالح المقال عندما خرج يوم الجمعة بعد عزله ماشياً إلى الجامع فانهال عليه الناس يصافحونه ويدعون له، ويوضح هذا التضامن الشعبي الصادق والبعيد عن النفاق مدى استعداد الناس للسير على طريق القرآن والسنة إذا ما وجدت القائد والوسائل التي تحمي هذه الطريق. ويبدو ان هذا الموقف الشعبي المتعاطف مع الوزير المعزول هو الذي الجأ الخلافة حفاظاً على هيئتها إلى فرض الإقامة الجبرية عليه في منزله[٣] وتحذير أنصاره والمؤيدين له، وقد لجأ بعد هذا الإجراء إلى بناء مسجد له في داره كإمام يؤذن ويصلى فيه[٤]. وخرج في نفس السنة التي عزل فيها عام ٤٨٤ هـ/ ١٠٩١ م حاجاً إلى مكة المكرمة وعند عودته عام ٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢ م منع من دخول العراق بأمر من السلطات السلجوقية، حيث أبعد إلى بلده

---

(١) المصدر نفسه : ٤/ ١٣٩.

(٢) على الرغم من الخدمات الجليلة التي قدمها السلاجقة للإسلام والمتمثلة في ضخ دم جديد في جسم الدولة الإسلامية، مكنها من مجابهة التحديات الخارجية، حيث نجحت في صد الهجمات البيزنطية ودحرها في معركة ملاذكرت بين السلطان السلجوقي الب ارسلان والإمبراطور البيزنطي رومانوس عام ٤٦٤ هـ/ ١٠٧١ م والتي فتحت الباب واسعاً أمام الفتح والاستقرار الإسلامي في الأناضول ومن ثم أوربا الشرقية والوسطى فيما بعد، وكذلك دورها في دحر الهجمات التركية في وسط آسيا ونشر الإسلام بينها، فضلاً عن التصدي للانحراف العقائدي في الداخل الإسلامي بعد استرجاع الشام من أيدي الدولة الفاطمية الإسماعيلية، ولجوء نظام الملك إلى إنشاء المدارس النظامية في أرجاء الدولة وعلى الرغم من كل هذا فان السلاجقة نظراً لطبيعة نشأتهم القبلية قد ظلت القيم القبلية التركية الجاهلية تتصارع مع القيم الإسلامية، واستطاعت في جوانب مهمة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ان تطغى على القيم الإسلامية، على الرغم من القشرة الإسلامية التي تغطت بها، وسرعان ما تحولت الدولة بعد وفاة السلطان ملكشاه بن الب ارسلان إلى أشلاء متناثرة عبر انقسام الأسرة الحاكمة وتناحرها الدموي على السلطة، فعجزت بشكل محزن عن التصدي للهجمة الصليبية غرباً وللأتراك الغز شرقاً.

(٣) العماد، المصدر السابق : القسم العراقي، ج١ : ص٧٨.

(٤) ابن خلكان، المصدر السابق : ٥/ ١٣٥ ؛ السبكي، المصدر السابق : ٤/ ١٣٩.

روذراور ثم استأذن للحج عام ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م فاذن له وشاءت الأقدار أن يتوفى كل من المقتدي وملكشاه ونظام الملك قبل دخوله المدينة المنورة وهذا ما يسر له الظروف الملائمة للإقامة بشكل دائم في رحاب الرسول ﷺ حيث أضرب عن العز والجاه والأهل والوطن، كان يقضي وقته في التعبد والمناجاة وفي كنس روضة المصطفى ﷺ والمسجد النبوي الشريف، ويفرش الحصر ويشعل المصابيح، ولم يفته ان يرسل إلى ابنه أبي منصور أن يبني مدرسة من ماله ويوقفها على أصحاب الإمام الشافعي لنشر العلم [١].

وشاءت الأقدار أن يمرض مرض الموت ولما يمض عليه سنة في مجاورته للمصطفى ﷺ فأمر بحمله إلى الحضرة النبوية الشريفة فوقف بالحضرة وبكى وقال يا رسول الله قال الله ﷻ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا [٢] وقد جئتك معترفاً بذنوبي وجرائمي أرجو شفاعتك[٣]. وسرعان ما توفي عام ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥ م لكي يدفن بالبقيع عند قبر إبراهيم ابن سيدنا محمد ﷺ [٤].

– أبو شجاع مؤرخاً وأديباً :

يعدّ التاريخ الذي كتبه أبو شجاع وهو ذيل تجارب الأمم لابن مسكويه والذي امتاز بأسلوبه الأخلاقي في تفسير التاريخ[٥] خلاصة لأفكاره السياسية فقد كتبه بروح نقدية إيجابية متفائلة، فقد أكد في مقدمته على أهمية التاريخ وقراءاته من قبل الساسة (ليعلموا ما بقي للمحسن من الصيت الحميد الذي صار له حياة مخلدة وبالأجر الذي اكتسبه، وللمسيء من الذكر القبيح الذي جعل صفحته مسودة بالوزر ...)[٦] ويندد في أثناء كتابه ببعض الساسة الذين انحازوا عن شرعية الله فيعلق على إحدى سياسات عضد الدولة البويهي [٧] بعد أن يمدح جوانب من سياسته (فان كان هذا الخبر صحيحاً فانه كيد

---

(١) المصدر نفسه : ٤/ ١٣٩.
(٢) النساء، الآية : ٦٤.
(٣) ابن الجوزي، المصدر السابق : ٩/ ٩٣ ؛ ابن خلكان، المصدر السابق : ٥/ ١٣٦.
(٤) ابن الجوزي، المصدر السابق : ٩/ ٣٩ ؛ ابن خلكان، المصدر السابق : ٥/ ١٣٦ ؛ ابن كثير، المصدر السابق : ١٢/ ١٥١ ؛ السبكي، المصدر السابق : ٤/ ١٤٠.
(٥) الدوري، تفسير التاريخ : ص٩.
(٦) الروذراوذي، ذيل تجارب الأمم : ¾.
(٧) حاكم بويهي امتاز بمقدرته الإدارية، وبلغت الدولة البويهية أوجها في عهده وخطب له ببغداد ومات فيها سنة ٣٧٢ هـ/ ٩٨٢ م ؛ ابن خلكان، المصدر السابق : ٤/ ٥٠-٥١.

يأباه كل ذي دين، ويأنف منه كل ذي سلطان مكين)[1]، ويعلق على الغدر وعشق السلطة الذي يقود الحاكم إلى قتل أقرب الناس إليه حتى لو كان أخاه فيقول عن هؤلاء (وقضى أبو الفرج بعد أخيه سريعاً صريع أخيه فأصبح بعده صريعاً وباع دينه بدنياه فخسرهما جميعاً وكذلك كل قاتل مقتول وكل خاذل مخذول وكن كيف شئت فكما تدين تدان)[2].

ويعلق على تدخل النساء السلبي في شؤون الحكم (وقد تقدم القول بأن تملك النساء لأمور الدولة عائد عليها بعظيم الخلل فلا تزال بهن النقض والإبرام حتى تزيغ القلوب وتزل الأقدام)[3] ويشير إلى مآل الظالمين مهما طغوا وولغوا في دماء ضحاياهم وظنوا انهم هم الأعلون دوماً (لقد ضل من ظن أن الملك يستقيم بالملك والمال يثمر الجور ... لا ورافع السماء ومؤتي الملك من يشاء ما يصلح الملك إلا بإحسان السيرة وأحكام السياسة)[4].

أما أدبه فقد ترك ديوان شعر لم يصل إلينا منه سوى بضع قصائد في الحكم والوجدان والمدح[5].

---

(١) الروذراوذي، المصدر السابق : ٣/ ٥٧ .
(٢) المصدر نفسه : ٣/ ٨٨-٨٩.
(٣) المصدر نفسه : ٣/ ١١٩.
(٤) المصدر نفسه : ٣/ ٢٧٤.
(٥) العماد، المصدر السابق : ص٨٠-٨٧.

موفق الدين الكواشي

هو أحمد بن يوسف الكواشي، نسبة إلى كواشة، وهي قلعة من اعمال الموصل، عالم رباني من علماء هذه الأمة المباركة، ولد عام ٥٩١ هـ/ ١١٩٤ م، ونشأ يتيماً في حجر خاله الذي كان من شيوخه وحبب إليه العلم[١]. تلقى علومه في مدينة الموصل الزاخرة بالعلماء والمدارس في عصرها الأتابكي حيث تتلمذ على عالم الموصل مكي بن ريان الماكسيني الموصلي الضرير المقرئ النحوي الأديب[٢] ثم شد الرحال على عادة تلاميذ عصره في التغرب في طلب العلم في أرجاء وطنه الإسلامي الكبير فأخذ عن أبي الحسين روزبه، وزار الشام، وأخذ عن السخاوي وغيره وزار القدس الشريف[٣] عجل الله فك أسره ثم عاد إلى الموصل حيث أوقف نفسه على نشر العلم الذي ائتمنه الله عليه وليضرب لنا مثلاً رائعاً في العالم العامل والقدوة الحسنة ولا تشير المصادر التي سجلت مآثره باقتضاب على كثرتها إلى مكان سكناه قبل انتقاله إلى الجامع العتيق بالموصل[٤] حيث قضى فيه أكثر من أربعين سنة[٥] عاش خلالها عيشة الزهاد والصالحين الذين يؤثرون في الأحداث، ويصدعون بكلمة الحق فيطأطئ لهم الحكام والعامة على السواء رؤوسهم مطيعين، ويمارس تدريس كتاب الله قراءة وتفسيراً فيأتيه الطلبة من شتى بقاع دار الإسلام.

يزوره حكام الموصل فلا يعبأ بدنياهم وأموالهم ومناصبهم، ويقف في وجه بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل ٦٣١ هـ/ ١٢٣٣ م -٦٥٨ هـ/ ١٢٥٨ م [٦] ينكر عليه مظالمه في حني له رأسه، ويشفع عنده في حاجات المظلومين فلا يرد شفاعته[٧]. ان أهم العلوم التي

---

(١) ابن الجزري، المختار : ص٣٠٦-٣٠٧.

(٢) ابن الصابوني، تكملة، هامش مصطفى جواد نقلاً عن الذهبي : ص٢٦٤، وينظر عن حياة الماكسيني. ابن خلكان، وفيات الأعيان : ٥/ ٥٧٨-٢٨٠.

(٣) الداودي، طبقات : ١/ ٩٨ ؛ الذهبي، العبر : ٣/ ٣٤٣ ؛ الصفدي، نكت الهميان : ص١١٦ ؛ السبكي، المصدر السابق : ٨/ ٤٢.

(٤) يدعى الآن في الموصل جامع المصفي، وهو الجامع الأموي القديم، ينظر للمزيد عنه الديوه جي . تاريخ الموصل : ١/ ٣٣٤ .

(٥) السكبي، المصدر السابق : ٨/ ٤٢.

(٦) ينظر عن حياته : ابن كثير، البداية والنهاية : ١٣/ ٢١٤.

(٧) ابن الجزري، المصدر السابق : ص٣٠٧ ؛ الصفدي، المصدر السابق : ص١١٧ ؛ ابن تغري بردي، الجوم الزاهرة : ٧/ ٣٤٩.

برع فيها الكواشي كانت القراءات والتفسير والعربية فضلاً عن مشاركة في علوم أخرى[1] وكان في التفسير علماً يشار إليه حيث ألف التفسير الكبير والصغير اللذين وصفا بأنهما ضمن أحسن التفاسير[2] ويشير السيوطي[3] إلى انه أرسل بعد فراغه من تفسيره نسخاً منه إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف، وقد اعتمد على هذا التفسير الشيخ جلال الدين المحلي في تفسيره، كما اعتمد عليه الإمام السيوطي في تكملة تفسير المحلي مع الوجيز وتفسير البيضاوي وابن كثير.

أخذ عنه الكثير من التلاميذ، ومن أبرزهم كمال الدين بن مسعود البغدادي، شيخ السلطان أحمد بن هولاكو التتري، والرجل القوي في دولته[4] كما أخذ عنه محمد بن علي ابن خروف الموصلي[5] فضلاً عن المقصاتي شيخ الإمام الذهبي، حيث قرأ عليه تفسيره، فلما وصل إلى سورة الفجر منعه وقال له أنا أجيزه لك ولا تقول انـي أكملت الكتاب على المصنف، يعني ان للنفس في ذلك حظاً[6] ان عيشة الزهد والتجرد والرياضة التي عاشها الكواشي في الجامع العتيق بالموصل، جعلت للناس في الموصل فيه اعتقاداً كبيراً فوصف بأنه شيخ الوقت[7] ورويت عنه الكثير من الكشوف والكرامات[8] ومما وصل إلينا من شدة توقيه الحرام مقته لطيفه، فقد اشترى في أثناء دراسته في الشام ثلاثة امداد قمحاً من الجابية من أرض نوى، وحملها إلى الموصل وزرعها في أرض البقعة، وكان يتقوت منها ثم بارك الله له فيها فكانت تكفيه وبعضاً من أصحابه وزواره[9].

---

(١) اليونيني، ذيل مرآة الزمان : ٢/ ١٠٥ ؛ الذهبي، المصدر السابق : ٣/ ٣٤٣ ؛ ابن العماد، شذرات الذهبي: ٥/ ٣٦٦ ؛ الصفدي، المصدر السابق : ١١٦.

(٢) ابن الجزري، المصدر السابق : ص٣٠٦ ؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق : ٥/ ٣٤٩ ؛ الصفدي، المصدر السابق : ص١١٧.

(٣) بغية الوعاة : ١/ ٤٠١.

(٤) ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، حاشية المحقق مصطفى جواد عن القصاعي في (تالي وفيات الأعين) : ٤/ ٦٥٨.

(٥) الداودي، المصدر السابق : ١/ ١٠٠ ؛ ابن العماد، شذرات : ٥/ ٣٦٦.

(٦) الداودي، المصدر السابق : ١/ ٩٩ ؛ الصفدي، المصدر السابق : من ١١٧ ؛ المقريزي، السلوك : ج٢، القسم ١٣٢.

(٧) ابن الوردي، المختصر : ٢/ ٢٢٨.

(٨) الذهبي، المصدر السابق : ٤/ ٣٤٣ ؛ اليونيني، المصدر السابق : ٤/ ١٠٥ ؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق : ٧/ ٣٤٩.

(٩) الداودي، المصدر السابق : ١/ ٩٩.

لم يبق مع الأسف من مؤلفات الكواشي سوى تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر في تفسير القرآن والجهد الثالث من كشف الحقائق في مكتبة الأزهر الشريف[1] كما كان يوجد في مكتبة جامع الباشا في الموصل نسخة من التبصرة في مجلدين[2] فضلاً عن تلخيص التفسير وما يتعلق بالرواية والتأويل، وروضة الناظر وجنة المناظر، وكتاب الوقوف، وكشف الحقائق في التفسير، والمطالع في المبادي والمقاطع المختصرة، والمواقيت في القرآن[3].

فقد الإمام الكواشي بصره قبل وفاته بعشر سنين، فتقبل البلاء من ربه صابراً محتسباً، ثم توفي عن تسعين عاماً عام ٦٨٠ هـ/ ١٢٨١ م، ودفن في الموصل حيث كان قبره معلوماً عند باب الجامع العتيق ثم عفي رسمه[4].

---

(١) الزركلي، الاعلام : ١/ ٢٦٠.
(٢) الجلبي، فهرست : ص٦٤.
(٣) البغدادي، هدية العارفين : ١/ ٩٨.
(٤) ابن الجزري، المصدر السابق : ص٣٠٦ ؛ العمري، منهل : ٢/ ١٢٩.

الإمـــام الأذرعـــي

هو الإمام شمس الدين عبد الله بن عطاء الأذرعي الدمشقي، ولد حوالي سنة ٥٩٥ هـ/ ١١٩٨ م، وتوفي عام ٦٧٣ هـ/ ١٢٧٤ م[١] في أسرة مؤمنة عاملة، وكان والده حنبلي المذهب، فقه ابنه على مذهب أبي حنيفة النعمان، بناء على نصيحة القطب الزاهد عبد الله اليونيني البعلبكي الذي قرأ عليه الأذرعي القرآن ببعلبك ثم أصبح بعد أن نبغ في المذهب رئيس الحنفية بدمشق وقاضيها، وتوفي وهو على القضاء[٢].

لقد سجل التاريخ للأذرعي وقفة صدق تجاه حاكم حاول بجهله الاعتداء على حق من حقوق الله، ألا وهو الأوقاف التي تعدّ إحدى معالم حضارتنا الإسلامية الشامخة، والتي رفدت حياتنا التعبدية والعلمية والجهادية والصحية والاجتماعية، بالدعم المادي والمعنوي الضروري، ولكي تعبر عن المسؤولية الجماعية في حياة المسلم اليومية عبر عصوره السياسية المختلفة. وإذا كان التاريخ الإسلامي قد سجل للظاهر بيبرس ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧ م شجاعته وصلابته في الوقوف في وجه المغول، وانه أحد أبطال معركة عين جالوت[٣] والذي حرر الشام وأعالي الجزيرة من رجسهم، فضلاً عن إنجازاته في تحرير قواعد من الساحل الشامي من رجس الصليبيين وإنجازاته الحضارية الرائعة[٤] فان طبيعة النشأة التي نشأ عليها كمملوك، وحدته كعسكري تجعله يشطح أحياناً عن الطريق السوي، ويحاول أن يمارس جبروت السلطة وهو إغراء قد يقع فيه الحاكم عندما لا يحكمه شرع الله وتقواه.

ان محاولة السلطان الظاهر بيبرس الاستيلاء على الأملاك والبساتين الوقفية بدمشق كانت كما يبدو لتلبية حاجة ميزانية الدولة إلى المال اللازم لتسيير عجلة الجهاد، فهي تحارب على أكثر من جبهة، ولم يحاول الظاهر أن يستولي على الأملاك بجره قلم، فيصدر مرسوماً سلطانياً وينتهي الأمر، وإنما عقد مجلساً في دار العدل، بحضور القضاة

---

(١) المقريزي، السلوك، ج١، قسم ٢ : ص٦١٩ ؛ ابن العماد، شذرات : ٥/ ٣٤٠ .

(٢) ابن طولون، قضاة دمشق : ص١٨٧-١٨٨.

(٣) معركة انتصر فيها المسلمون بقيادة السلطان قطز على المغول وكانت أول معركة ينهزم فيها المغول بعد ان اجتاحوا أرض العراق والشام وحاولوا الوصول إلى مصر. ينظر عن هذه المعركة ؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ١٣/ ٢٢٠-٢٢٢ .

(٤) ينظر عن حياته اليونيني، ذيل مرآة الزمان : ٣/ ٢٣٩-٢٦٤ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة : ٧/ ١٧٧-١٩٧.

وجماعة من العلماء والمشايخ، حيث أبدى الجميع موافقتهم المبدئية، فألانوا القول، وخشوا من سطوة الظاهر، إلا إمامنا الأذرعي، الذي صدع بالحق، ولم يخش في الله لومة لائم، وقال قولته المشهورة (اليد لأرباب الأملاك ولا يحل لأحد أن ينازعهم في أملاكهم، ومن استحل ما حرم الله فقد كفر) غضب السلطان غضباً شديداً من قول الأذرعي وقال: (أنا أكفر انظروا لكم سلطاناً غيري) [1] وهنا تدخل الأمراء من حاشية السلطان، محاولين تهدئة غضبه قائلين، انه لم يقل أن السلطان ليس مسلماً، وإنما قال ما يحل لمسلم التصرف في أملاك الناس[2].

ويبدو أن السلطان راجع نفسه بعد الغضب وعرف الحق وأناب إليه، وعظم في عينيه هذا القاضي الذي لم يخش في الله لومة لائم، فأرسل إلى الأذرعي يستدعيه، واعتقد الأذرعي أن الظاهر يضمر له شراً في دعوته هذه فأوصى وودع أهله، وذهب إلى مقابلة الظاهر، وفي ذهنه انه لا يعود، فلما دخل على السلطان قام له ورحب به وقال له مداعباً معاتباً (يا قاضي تكفرنا اليوم، فقال يا مولانا أنا ما خصصت مولانا السلطان بهذا الكلام، ولكن كل من استحل ما حرم الله فقد كفر، فقال السلطان لحاشيته القاضي كما هو يكفرنا) وقد خلع عليه وصرفه إلى بيته مكرماً [3] كما أثبت السلطان كتبه عنده بعد هذه المقابلة[4]. رحم الله الأذرعي والظاهر بيبرس رحمة واسعة، وجعلهما نبراساً للراعي والرعية.

---

(١) ابن طولون، المصدر السابق : ص١٨٨.
(٢) اليونيني، المصدر السابق : ١/ ٩٥.
(٣) ابن طولون، المصدر السابق : ص١٨٨-١٨٩.
(٤) اليونيني، المصدر السابق : ٣/ ٦٣.

أحمد بن الكولة

تشير حركة التاريخ البشري إلى أن من يملك العلم والشجاعة، ووضوح الهدف، ونفاذ البصيرة هو الذي ينجح دائماً في قيادة مسيرة الأحداث نحو الأهداف السامية النبيلة التي تتناسب دائماً مع واجب الإنسان الأزلي وهو الخلافة في الأرض .

لم يكن الملا أحمد، الذي كان أبوه أو جده مملوكاً أعتقه أحد المواصلة[1] أعلم أقرانه في الموصل في عصرها الجليلي الزاهر ما بين عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦ م – ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م على الرغم من ما قيل عن علمه وزهده[2] فقد وجد الكثير من العلماء المعاصرين له في الموصل، وربما فاقوه علماً، واشتهروا بتدريسهم في مدارس الموصل[3] الا ان قيمة أحمد بن الكولة، انه حول تكيته القادرية التي لم تكن محلاً للذكر والسماع فقط، وإنما كانت لتدارس العلم، والدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بعد ان أصبح معروفاً لدى أهل الموصل كبيرهم وصغيرهم مطاعاً لديهم[4].

ان طبيعة العصر العثماني[5] وسوء الإدارة، وانكماش الحياة، وميلها إلى السكون، قد أدى إلى أن تصبح للبدع سوقاً رائجة، وأصبح للمزارات والأضرحة سدنة وكهاناً يكسبون من ورائها الأحمر الرنان، ويطعمون الشهد، وينالون الاحترام الاجتماعي على مستوى الخاصة والعامة، ويعيشون في نعيم على حساب الجهال والمغفلين، هذا في عصر ضعفت فيه العلوم، واقتصر الأمر على شرح المتون، وإيجازها وشرح الشروح الا من رحم ربي، بعد ان عقمت عقول العلماء عن الابتكار والتجديد واختفت المستشفيات

---

(١) العمري، منهل الأولياء : ١/ ٢٨٤.

(٢) الروض النضر : ٢/ ٢٩-٣٠.

(٣) ينظر مثلاً حمد الجميلي. العمري، منهل الأولياء : ١/ ٢٧٢.

(٤) المصدر نفسه : ١/ ٢٨٤.

(٥) لم يدرس العصر العثماني بأنصاف في مناهجنا التعليمية، فنحن لا نعرف عن هذا العصر سوى التخلف والظلام، والعصور المظلمة، وتنسى الإيجابيات، التي حفل فيها والتي كان من أبرزها التصدي للخطرين الإسباني والبرتغالي في دار الإسلام في شمال أفريقيا والتي كادت لولا لطف الله ان تلحق بالأندلس في غمرة الزحف الإسباني والبرتغالي الصليبي للقضاء على الإسلام، كما لا ننسى دورها في البحر الأحمر وبحر العرب والخليج العربي أيضاً، نحن ندرس طلبتنا ان السلطان عبد الحميد الثاني كان دكتاتورياً طاغياً استبدادياً وننسى طبيعة أساليب الحكم في ذلك العصر والتحديات الداخلية والخارجية الصعبة التي واجهته، وننسى دورة المشرف في قضيتنا الفلسطينية.

وغاب الأطباء، فلطالما باهت الموصل شقيقاتها مدن دار الإسلام بمستشفياتها التي كانت تدعى (البيارستان) وأطبائها الأكفاء[١].

وهكذا شهدت الموصل حال بقية المدن العثمانية، لكل مرض من الأمراض، ضريحاً متخصصاً في شفاء مرض من الأمراض حسب زعمهم، بل وأصبح حتى للحيوانات مزاراتها الخاصة بها لرفع الضر عنها [٢].

ان حياة الزهد والتصوف التي كان يعيشها ابن الكولة مع تلامذته، ونزاهته التي شهد بها أعداؤه قبل أصدقائه، فان هؤلاء الأعداء هم في الأكثر من كتب سيرة حياته في أسطرها القليلة، لم تشفع له عندما طرح تفسيره عن حياة الرجل الصالح جرجيس[٣] وهل هو نبي أم ولي، حيث برهن من خلال تسع حجج قدمها لتلاميذه ان جرجيس كان رجلاً صالحاً وليس بنبي[٤]، وقد تبدو القضية بمجملها سهلة في الوقت الحاضر، فليس هناك ما يشير في القرآن والحديث النبوي الشريف إلى نبوة جرجيس، الا ان الأمر كان زلزالاً آنذاك أقام الموصل ولم يقعدها في حينه، فقد ثار بعض معاصريه من العلماء، فضلاً عن الرأي العام وقادة الأضرحة الذين كان الأمر يعنيهم اكثر من غيرهم، فقد رد عليه علي بن مصطفى الدباغ الحلبي الموصلي بكتاب سماه (اتحاف الأنام بأخبار سيدنا جرجيس) واضطر والي الموصل المجاهد حسين باشا الجليلي[٥] إلى إرسال رسول إلى ابن الكولة يأمره بالتوبة والاستغفار في حين نجد محمد أمين العمري[٦] غامضاً في مدى استجابة الكولة لأمر الباشا، ويظهر ان الجليليين لم يقفوا منه موقفاً صلباً واستمر كما يبدو في الجهر بآرائه[٧].

---

(١) سعيد الدوة جي، تاريخ الموصل : ١/ ٤٣٩.

(٢) هناك قرب باب سنجار، وفي محلة المشاهدة، شمال غرب مدينة الموصل مزار يسمى (أبو الحواوين، تجلب إليه بعض الحيوانات المريضة اعتقاداً بشفائها).

(٣) العمري، منهل الأولياء : ١/ ٢٨٥ ؛ العمري، غاية الحرام : ص٣٨٥.

(٤) عماد رؤوف، الموصل في العهد العثماني : ص٤٠٨ ؛ عادل البكري، أدب الرحلات، المورد، م١٨ : ص٤٠٨ .

(٥) اشتهر الوالي الجليل حسين باشا رحمه الله بحسن إدارته وعدله وشجاعته، وصموده في وجه الشاه نادر أثناء حصاره للموصل، وتولى فضلاً عن الموصل إدارة ولايات أخرى في الدولة العثمانية مثل كوتاهية وحلب، العمري، منهل : ص٢٠٧-٢٠٨، ينظر عن حياته. العمري، غاية المرام : ص٣٢٢-٣٢٣.

(٦) العمري، منهل الأولياء : ١/ ٢٨٥.

(٧) عماد رؤوف، المرجع السابق : ص٤٠٩ ؛ الطائي، الحركات الإصلاحية : ص٣٨-٤٠ ؛ عادل البكري، المرجع السابق : ص١٢٤.

ان السؤال الذي يطرح نفسه ما الذي دفع ابن الكولة إلى اختيار قضية نبوة جرجيس دون غيرها ؟ يبدو لي والله اعلم ان السبب يكمن فيما كان يحدث في عصره في مشهد جرجيس من البدع والخرافات والإشراك الخفي الذي تتكرر صوره في بقية المشاهد والأضرحة، وكان حاله حال الشاطبي[1] رحمه الله عندما حدث نفسه انه نسب إلى معاداة أولياء الله من قبل أعدائه لأنه تكلم للجمهور عن جملة من أحوال بعض هؤلاء الذين نسبوا أنفسهم إلى الصوفية ولم يتشبهوا بهم.

لا يذكر كاتبو سيرة ابن الكولة عنه الكثير ولا سيّما سنة وفاته، وكذلك الحال عن مؤلفاته فعصام الدين العمري[2] المعاصر له، ومن القلة المثقفة التي تعاطفت معه بعكس قريبيه محمد أمين العمري وياسين العمري. يشير إلى شرحه لقصيدة البردة للبوصيري في مدح المصطفى ﷺ وله ايضاً عقود الفرائد في شرح الأمثلة والشواهد[3].

توفي الكولة عام ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩ م تاركاً ابنا نجيباً سار على سيرة أبيه في التمسك بالحق والتنديد بالباطل، الا وهو محمد بن أحمد الكولة الذي وصف بأنه (علامة عصره في جميع المنطوق والمفهوم) كما كان حافظاً متقناً، عالماً خبيراً، مفرط الذكاء، لم يفته فن من الفنون العقلية والنقلية، وان كان غلب عليه علم الزيج والهيئة[4].

ندد محمد الكولة بالانحرافات التي طرأت على العقيدة، وقادت إلى الإشراك الخفي والجمود الفكري والاستسلام للواقع، وعدم تحريك الهمم من أجل التغيير والعودة إلى الينابيع الصافية التي تستقي من الكتاب والسنة. فندد بابن عربي صاحب عقيدة وحدة الوجود[5] ونسبه إلى الزندقة [6] واشتهر بتنقلاته ما بين الموصل وبغداد واستنبول، وغيرها من المدن وتولى منصب القضاء في بغداد وديار بكر[7] وأرسل في مهمة إلى المغرب بتكليف من السلطان عبد الحميد الأول.

---

(١) الاعتصام : ١/ ١٢.
(٢) الروض النضر : ٢/ ٣٠.
(٣) الجلبي، فهرس : ص٢٧٢.
(٤) العمري، منهل الأولياء : ١/ ٥٨٥ ؛ الجلبي، المرجع السابق : ص١٦.
(٥) العمري، غاية المرام : ص٣٨٥ ؛ العمري، غرائب الأثر : ص٥٣-٥٦.
(٦) المصدر نفسه : ص٣٥.
(٧) عماد رؤوف، المرجع السابق : ص٤١٠.

المجاهد الزاهد بيرجب الزيباري

— نسب العائلة وعلاقتها مع حكام المنطقة:

يعود نسب المجاهد والزاهد، بيرجب بن حسين الزيباري[١]. الى الإمام جعفر الصادق ؟؟[٢] أما الموطن الأصلي لهذه العائلة الشريفة فهو بلدة أخلاط[٣] من أعمال بدليس[٤] حيث هاجر منها جده شمس الدين إلى حكاري[٥] وكان يزور إمام بهدينان الكردية[٦] باستمرار لنشر الطريقة الخلوتية السهروردية[٧] ويظهر أن سمعته الطيبة، وتقواه التي فاح أريجها الزكي قد دفعت السلطان، سيدي خان[٨] حاكم إمارة بهدينان في سنة

---

(١) إن كلمة بير فارسية الأصل ويقصد بها الشيخ ومؤسس الطريقة الصوفية. داؤد الجلبي الموصلي، كلمات فارسية مستعملة في عامية الموصل وفي أنحاء العراق : ص ٣٥ ؛ أما جب فهو اختصار لأسمه الحقيقي وهو جبرائيل. وقد سماه ياسين العمري بير رجب وهو تصحيف منه. غاية المرام : ص ١١٠ ؛ مشاهير الكرد : ١/ ١٤٦-١٥١ .

(٢) نقلاً عن نسب العائلة المحفوظ لدى الشيخ رقيب الزيباري حفيد صاحب الترجمة ؛ قبيلة الزيبار من القبائل الكردية الكبيرة التي تسكن قضائي الزيبار وعقرة، وجاءت التسمية من (زي) وهو النهر و (بار) وهو الضفة ومعناه القبيلة القاطنة على الضفة. البدليسي، الشرفنامه : ص ١٤٥. ويبدو أن التسمية جاءت من سكناها على نهر الزاب الأعلى.

(٣) اخلاط : مدينة تقع على الضفة الشمالية لبحيرة وان ضمن تركيا الحالية. زكي، خلاصة ص ٤٢.

(٤) بدليس : مدينة كانت مزدهرة قبل الحرب العالمية الأولى وكانت لواءاً يضم بدليس وموسى كنج وسعود، اشتهرت بجمالها وأسواقها ومدارسها. وكانت مركزاً لأمارة كردية انتهت في أوائل القرن التاسع عشر. البدليسي شرفنامه : ص ٣٧٦ – ٣٧٨ ؛ نيكيتن، الأكراد: ص ١٥٢ ؛ زكي، المرجع السابق: ص ٢٤.

(٥) حكاري :إقليم يمتد ما بين الزاب الكبير وبحيرة وان وجزيرة ابن عمر في كردستان الوسطى ومقره دجولامرغ. نيكيتن، الرجع السابق : ص ١٥٢ .

(٦) ينظر للمزيد عن هذه الأمارة وتاريخها السياسي، العباسي، إمارة بهدينان العباسية.

(٧) نسبة هذه الطريقة الى الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد البكري السهروردي، من أصحاب الشيخ عبد القادر الكيلاني، روى عنه من المحدثين، أبن الدبيثي، وابن النجار والبرزالي وعرف عنه وعظه الذي استقطب اهتمام الناس ببغداد في رباط درب المقبرة، وكان يجلس على منبر من طين. ووصف بشيخ العراق في وقته، وكان من ابرز مؤلفاته، عوارف المعارف، مجهول، الحوادث الجامعة : ص ٥١، ٧٤ ؛ اليافعي، مرآة الجنان : ٤/ ٧٩- ٨٢ ؛ ابن العماد، شذرات ٥ / ١٥٣ – ١٥٤ ؛ ويظهر ان هذه الطريقة اصبحت تسمى الخلوتية في النصف الأول من القرن الخامس عشر عندما قام شيخ صوفي من شماخة في القوقاز الشرقي بنشر أفكاره الصوفية بين القبائل التركمانية في أذربيجان وتركيا الشرقية وازداد نفوذها بعد فتح القسطنطينية. لويس، استنبول : ص ١٦٢ ؛ وترجم المرادي لكثير ممن نسب الى الخلوتية. ينظر سلك الدرر : ٣ / ٢٢٨ و ٤ / ٢٤٥.

(٨) ينظر عن حياته البدليسي، المصدر السابق : ص ١٤٥ .

١٠٣٠ هـ / ١٦٢٠ م الى منحه سبع قرى وهي بريفكان، وكل رمان، ومزاب، وبيكاو، وركاوه، والو كاونلديب، وسرعان ما أسس زاويته في قرية بريفكان ، وترك بعد وفاته ديوان شعر باللغة الكردية، لا يزال موجوداً لدى أحد أحفاده، وتوفي عام ١٠٨٥ هـ / ١٦٧٤ م في بريفكان[١].

لم يشر من ترجم بيرجب إلى مكان وتاريخ ولادته، وإن كانت على الأرجح في قرية بريسة، فقد هاجر والده الشيخ حسين (بيرصوفي)، من بريفكان إلى الزيبار، حيث أستقر في قرية بريسة، وأسس تكية صوفية هناك. وأخذ في نشر الطريقة القادرية في الزيبار وركان ونروا وجول مرك، ووان، وديار بكر، وسرتي وبدليس[٢] وهي تشمل مناطق كردية في شمال العراق، ونوب شرق تركيا في الوقت الحاضر .

— ولادته ونشأته :

في وسط هذه الأجواء العائلية، التي يفوح منها عبق التقوى والإيمان الجياش، بكل القيم الإسلامية قرآناً وسنة، عاش بيرجب، وإذا كان الأب بير صوفي، هو أحد أهم من تلقى عنهم العلوم الشرعية والطريقة القادرية، فاننا نجهل مع الأسف، بقية الأساتذة الذين تتلمذ عليهم في المنطقة، حيث اشتهرت كردستان بشيوخها وعلمائها، الذين كانوا يقصدون من المناطق المجاورة للأخذ منهم[٣]. ومثال على ذلك مدينة عقرة الصغيرة[٤]، التي اشتهرت بمدرسة الشيخ الحدادي، والتي درس فيها العالم المشهور جرجيس الأربلي ت ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١ م، وكان أحد أساتذة المؤرخ والشاعر الموصلي محمد العمري[٥].

---

(١) لقاء مع الشيخ رقيب الزيباري حفيد بيرجب بتاريخ ١/ ١١/ ١٩٩٤ .

(٢) لقاء مع الشيخ رقيب الزيباري في نفس التاريخ .

(٣) ينظر للمزيد عن هؤلاء العلماء من أمثال علي السوسني، و محمود الخورتي، ومحمد الأردلاني، ومصطفى الزياراتي، وجرجيس الأربلي، ويحيى المزوري، وعبد الرحمن الروزبهاني. وهؤلاء معاصرين لبيرجب، وتوفي معظمهم في أوائل القرن الثالث عشر. العمري، منهل الأولياء : ١ / ٢٧٥-٢٧٨، ٢٨٦ ؛ البيطار، حلية البشر : ٣ / ١٥٧٨ – ١٥٨٠، ١٥٨٧-١٥٩١ ؛ الحيدري البغدادي، عنوان المجد : ص ١١٨، ١٣٥ ؛ إسماعيل، علماء : ص ١٣ – ١٤.

(٤) عقرة : مدينة تبعد عن الموصل ٩٥ كم من جهة الشرق عرفت في التاريخ بعقر الحميدية. جرجيس، دليل الموصل : ص ١٢٤ – ١٤٣.

(٥) العمري، منهل الأولياء : ١ / ٢٨٦ – ٢٨٨ ؛ إسماعيل، المرجع السابق ص ٧٩ .

ولا يعرف هل تتلمذ بيرجب على الأربلي أم لا، ويظهر أنه قد أدى فريضة الحج بصورة مبكرة في شبابه، فقد وصفه العمري بالحاج[1] وهذا مما يدل على حيويته الإسلامية في أداء فريضة تتطلب من المسلم آنذاك فضلاً من امتلاك الزاد والراحلة، وحساً إسلامياً مرهفاً في زيارة بيت الله الحرام وقبر نبيه الكريم محمد ﷺ، مع ما يرافق ذلك من مخاطر الطريق وصعوباته الجمة ... .

لم يتخذ بيرجب من بريسة مقراً ثابتاً له، فقد كان دائم التنقل بينها وبين قرية سردريان ومدينة عقرة[2]، وهذا دليل آخر على فعاليته وحيويته، ورفضه الركون إلى الهدوء والاستكانة فالمسلم الحقيقي يصنع الحياة بصورة متنوعة، وسرعان ما أصبح علماً في العلم والفتوى فضلاً عن تقواه[3] وصلاحه وكرمه حيث كانت داره في عقرة لا تخلو من الضيوف الكثيرة [4]. ويبدو أن المجاهد بيرجب لم يشارك لسبب أو لآخر في الصراعات التي اجتاحت إمارة بهدينان والتي تشكل عقرة جزءاً منها في عهد إمارة إسماعيل باشا ١١٨٢-١٢١٣ هـ / ١٧٦٨ - ١٧٩٨ م والذي وصف عصره بأنه عصر الفتن اندلعت بينه وبين اخوته[5] حيث لم تنجُ عقرة منها، فقد حوصرت في الأعوام ١٢٠٢ هـ/ ١٧٨٧ م و ١٢٠٤ هـ / ١٧٨٩ م و١٢٠٥ هـ/ ١٧٩٠ م[6]. وكذلك في عهد ابنه محمد طيار باشا الذي استمرت الفوضى في عهده[7] والذي شهد عصره ذهاب المجاهد بيرجب إلى مصر عام ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م واشتراكه في حملة جبل سنجار عام ١٢١٨ هـ / ١٨٠٣ م .

— المجاهد بيرجب يذهب لجهاد الفرنسيين في مصر .

كان التحول الرئيس في حياة بيرجب، عندما رأى بحسه الإيماني المرهف الرسول ﷺ في الرؤيا وهو يأمره بالتوجه إلى مصر، والاشتراك في تطهيرها من رجس الغزاة الفرنسيين الذين احتلوها بقيادة نابليون بونابرت عام ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م، وهكذا

---

(١) العمري، غرائب الأثر : ص ٦٤ .
(٢) لقاء مع الشيخ رقيب في نفس التاريخ السابق .
(٣) زكي، المرجع السابق : ١ / ١٤٨ .
(٤) العمري، غاية المرام : ص ١١٠.
(٥) العمري، منهل : ١ / ٦٨ .
(٦) العباسي، المرجع السابق : ص ٨٣ - ٨٦ .
(٧) المرجع نفسه : ص ٨٩ - ٩٤.

شمر بيرجب عن ساعده وجمع عشرين من أتباعه المجاهدين[1]. ولا يعرف الطريق الذي سلكه بيرجب في طريقه إلى مصر، والذي هو على الأرجح طريق الموصل - حلب - دمشق - فلسطين العريش ثم مصر. وعندما وصل إلى مصر بشر القائد العثماني الذي كان يزحف إلى داخل مصر والذي كان الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) يوسف باشا بالنصر، والذي بشره به الرسول ﷺ وقد انتهت الحملة بالنصر ورحيل الغزاة الفرنسيين عام ١٢١٦ هـ / ١٨٠١ م واستعادة مصر إلى حظيرة الدولة العثمانية، وقد منحه الصدر الأعظم لقاء شجاعته وإيمانه أموالاً وأربعين أقجة[2] من خراج الموصل. ولم تشر المصادر مع الأسف إلى طبيعة الأعمال التي قام بها بيرجب مع رجاله في مصر، والمدة التي قضاها هناك، وكيف عاد إلى وطنه، فقد استقبل عند عودته استقبالاً حافلاً من قبل أهل الموصل وزعمائها وعلى رأسهم واليها محمد باشا الجليلي[3].

إن المؤرخ المنصف يجب أن يقف طويلاً عند هذه الومضات الكثيرة، التي أضاءت سجف القرون الثلاثة الأخيرة، والتي وردت في مصادرنا الحديثة، على شكل نتف متفرقة، هنا وهناك ومما يدعو إلى الحزن والريبة، إن معظم مؤرخي تاريخنا الحديث والمعاصر نادراً ما يشيرون إلى هذه الومضات الا بما يخدم الأفكار والتوجهات التي يؤمنون بها أو يعملون في خدمتها لسبب أو لآخر. فالعاميات في لبنان[4] وناصيف اليازجي[5]

---

(١) هناك مقال نشر في جريدة العراق البغدادية، للسيد فائق أبو زيد بعنوان ((المجاهد بيرجب العقراوي)) في الصفحة الرابعة، وقد حفل هذا المقال بالأوهام والمغالطات والخيال الشاعري من ذلك مثلاً، عدد المقاتلين الذين صحبوا بيرجب إلى مصر. والذين أوصلهم إلى أربعمائة رجل، واستشهد منهم اثنا عشر، وهو نفس الرقم الذي أورده صاحب غرائب الأثر، عن حملة سنجار، علماً بأن العمري في روايته للأحداث في غاية المرام لم يذكر رقماً، وإنما قال ((أخذ معه جماعة من الأكراد)) العمري، غرائب الأثر : ص ٨٥، غاية المرام : ص ١١١.

(٢) آقجة : هي نصف مثقال فضة. الخياط، صور : ص ٢٦١ .

(٣) العمري ، غرائب : ص ٥٨ .

(٤) العاميات : هي حركات قام بها الفلاحون النصارى الموارنة، في ستينات القرن التاسع عشر في كسروان والمتن، ضد أسيادهم الإقطاعيين الموارنة من آل الخازن. عبد الكريم، دراسات : ص ١٤٨.

(٥) ناصيف اليازجي : ولد عام ١٨٠٠ في قرية صغيرة في جبل لبنان من أسرة مارونية، تثقف في الأديرة، وبلغ شأواً في علم اللغة العربية، وكتب الكثير، كانت دعوته إلى إحياء الأدب العربي القديم توفي عام ١١٨٥ هـ / ١٨٧١ م. أنطونيوس، يقظة العرب : ص ١٠٩-١١٢.

ونجيب عازوري[1] وشبلي شميل[2]. يعرف عنهم طلابنا أكثر مما يعرفون عن الشوكاني[3] وشامل الداغستاني[4] وقادة المقاومة المصرية ضد الحملة الفرنسية على مصر[5].

ان توجه هذا المسلم الكردي من ولاية الموصل، إلى أرض الكنانة على ما بينهما من بعد الشقة يستدعي الإعجاب، ودليل على وحدة المصير لأمتنا الواحدة، من المحيط الهادي حيث جزر أندنوسيا و إلى المحيط الأطلسي في مغرب الجهاد والرباط. وحيث يشكل العرب القلب النابض لهذه الأمة عقدياً، وجغرافياً، واقتصادياً، فقد عادت هذه المشاعر من جديد والحمد لله الآن بعد تجربة الجهاد الأفغاني، الذي ظهرت ثماره في البوسنة والهرسك، والشيشان وكوسوفو. ان معركتنا الكبرى اليوم مع العدو الصهيوني المغتصب للأقصى ولأرض الأنبياء من النهر إلى البحر، هي بأشد الحاجة إلى روح الجهاد المقدسة لإرهاب أعداء الله من اليهودية الماسونية والصليبية المتصهينة في واشنطن ولندن وكل عواصم الكفر العالمية .

---

(١) نجيب عازوري : ماروني من نصارى لبنان، اشتهر بدعوته إلى القومية العربية وفصل الدين عن الدولة، نشر عام ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٥ م في باريس كتابه المشهور (يقظة الأمة العربية) دعا فيها إلى انفصال ما تبقى من ولايات عربية تحت الحكم العثماني في العراق والشام والجزيرة العربية، وتأسيس دولة عربية من دجلة والفرات إلى قناة السويس، وجعل الحجاز مقراً لخلافة عربية. المحافظة، الاتجاهات : ص ١٣٤.

(٢) شبلي شميل : طبيب لبناني الأصل ولد سنة ١١٧٩ هـ / ١٨٥٣ م، درس في الجامعة الأمريكية في بيروت واكمل دراسته في أوربا لمدة سنة، وسكن مصر فيما بعد واشتهر بآرائه الإلحادية والقومية التي يبعدها عن الإسلام. الزركلي، الإعلام، ٣ / ٢٢٦ – ٢٢٧.

(٣) الشوكاني : هو محمد بن علي ولد في هجرة شوكان في اليمن عام١١٧٣ هـ / ١٧٦٠ م ونشأ في صنعاء ودرس فيها وفي غيرها الحديث والأصول والفقه والتفسير والأدب والتاريخ والرياضيات يعدّ من العلماء المجددين، تولى القضاء ومنصب الوزارة في اليمن الأمامية. ينظر للمزيد عن حياته. البدر الطالع : ص ٢١٤-٢٢٥.

(٤) شامل الداغستاني : مجاهد كبير من القوقاز الجريح، قاتل الغزاة الروس لمدة ٣٥ سنة وحرر بلاد شمال القوقاز المسلم والحق بهم هزائم منكرة إلى أن اسر عام ١٢٧٩ هـ / ١٨٥٩ م وذهب إلى الدولة العثمانية، ومنها ذهب إلى المدينة المنورة حيث مات عام ١٢٨٥ هـ / ١٨٧١ م ودفن في البقيع مع اصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) وآله الأطهار. البار، المسلمون : ١ / ١٥٥ .

(٥) من أمثال عمر مكرم نقيب الأشراف والحاج مصطفى البشتيلي، والشيخ السادات، ومحمد بيك الألفي، والسيد أحمد المحروقي، وسليمان الحلبي وغيرهم كثير. ينظر للمزيد عنهم الجبرتي، مظهر التقديس : ص ٢٠٢-٢١٥-٢٤٦-٢٥٠ .

— بيرجب مجاهداً في جبل سنجار :

بعد سنتين من عودة بيرجب من مصر عام ١٢١٨ هـ / ١٨٠٣ م، يلبي مرة ثانية داعي الجهاد، عندما يشترك في حملة علي باشا والي بغداد، على جبل سنجار حيث عاث اليزيدية [١] فساداً في المنطقة، فقد قام ستمائة [٢] من المجاهدين من منطقة الزيبار والتحق بالوزير في أثناء حصاره للجبل، وقد انتهت الحملة التي استمرت لأيام طويلة في ارغام المتمردين من اليزيدية على الاستسلام وعودتهم إلى الطاعة والكف عن الاعتداء على مسلمي مدينة سنجار والمناطق المجاورة لها [٣]. ان عدم معرفة سنة وفاة المجاهد بيرجب، تجعل الباحث لا يستطيع الجزم بشيء بدوره في أحداث منطقة عقرة بعد حملة جبل سنجار، اذ أن مدة حكم زبير باشا بن اسماعيل باشا ١٢٢٢ - ١٢٣٩هـ / ١٨٠٧- ١٨٢٤ م قد شهدت هدوءاً نسبياً فقد كان زبير يتحلى بصفات القيادة الملتزمة والاستقامة والالتزام، بقواعد الشرع الحنيف، على الرغم من اضطراره إلى الدخول في صراعات مع حكام الموصل الجليليين [٤].

كما لا نعلم شيئاً عن مدى العلاقة بينه، وبين محمد باشا الراوندوزي (ميركور) مؤسس الإمارة الصورانية ت ١٢٥٢ هـ / ١٨٣٦ م والذي دخل عقرة عام ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م [٥].

وإذا كانت المصادر التاريخية المتاحة، لا تشير مع الأسف إلى تلاميذه الذين حملوا الراية من بعده وهم كثر على ما يبدو، ويظهر ذلك من خلال عدد من رافقه إلى مصر،

---

(١) اليزيدية : طائفة إسلامية منحرفة، بدأت بالظهور طريقة صوفية سميت بالعدوية نسبة للشيخ عدي بن مسافر الأموي ت ٥٥٧ هـ / ١١٦١ م والذي عرف عنه زهده وتقواه وعقيدته السنية وعلاقته الحميمة مع الشيخ عبد القادر الكيلاني ت ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م، انتشرت هذه الطائفة في صفوف أكراد الموصل، في وادي لالش ثم امتدت إلى الشام ومصر، وسرعان ما أخذت بالانحراف عن أصولها الإسلامية بصورة تدريجية، منذ عهد زعيمها حسن بن عدي الثاني بن صخر المقتول في الموصل عام ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م، على يد حاكمها بدر الدين لؤلؤ ت ٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ م. ينظر للمزيد عن هذه الطائفة. الدملوجي، اليزيدية ؛ الديوه جي، اليزيدية .

(٢) أورد ياسين العمري رقماً آخر أقل وهو أربعمائة مجاهد. غاية المرام : ص ١١١ .

(٣) العمري، غرائب الأثر : ص ٦٤ – ٦٥ ؛ الكركوكلي، دوحة الوزراء : ص ٢٢٣ ؛ الدملوجي، المرجع السابق : ص ٤٩٥ – ٤٩٦ .

(٤) العباسي، المرجع السابق : ص ٩٩ – ١٠٠ .

(٥) زكي، المرجع السابق : ١ / ٢٢٩ – ٢٣٠ ؛ الجاوشلي، القومية الكردية : ص ١٠٠ –١٠٢ ؛ الدره، القضية التركية : ص ٥٨ .

أو في حملة جبل سنجار، فان آثاره العلمية التي خلفها هي عبارة عن مخطوطتين موجودتين في خلوته في عقرة، ولا يعرف شيء عن المواضيع التي احتوتها، وهل هي في التصوف أم الفقه؟

— **بيرجب كان صوفياً خادماً لمجتمعه المسلم وليس العكس :**

لم يكن سجل إنجازات المجاهد بيرجب، يقتصر على الجهاد والعلم والتربية والكرم، وكسب حب الناس فحسب، بل ان له إنجازاً عمرانياً هو بقياسات عصره له معان نبيلة سامية، وهو كبير قياساً بإمكانياته المادية، ألا وهو جسر حجري، يتكون من ستة أقواس بين قريتي هلورا وبريسة، في قرية خالانة على نهر الزاب الأعلى، ولا يزال مستعملاً لحد الآن. وعندما توفي رحمه الله دفن في قرية بريسة، ويوجد الآن من آثاره المادية سيفه ودرعه وطاقيته في خلوته بعقرة، كما وأن هناك عيناً تحمل اسمه تحيط بها مجموعة من أشجار الزيتون، قرب المقبرة اليهودية في عقرة [1].

— **أحفاد بيرجب في سوح الجهاد :**

لم يخلف بيرجب سوى ولدٍ واحدٍ اسمه موسى، والذي استطاع أحد احفاده وهو الشيخ سعيد، أن يُحْيي سيرة جده بيرجب، عندما تطوع للدفاع عن أرض العراق عام ١٣٣٤ هـ / ١٩١٥ م مع غيره من مجاهدي الأكراد في معركة الشعيبة [2] جنباً إلى جنب مع إخوانه من مجاهدي العرب، إلى جانب القوات العثمانية بقيادة سلمان بك العسكري، ضد القوات البريطانية الغازية في الحرب العالمية الأولى، ولم يكتفِ الشيخ سعيد بهذه المشاركة الجهادية، وانما سرعان ما ذهب بعد عودته من الشعيبة إلى جناق قلعة مع مجموعة من المجاهدين للاشتراك في الدفاع عن المضايق التركية في الدردنيل، ضد الأسطولين البريطاني والفرنسي حيث كتب لهما النصر وانسحب الحلفاء مدحورين [3].

---

(١) لقاء شخصي مع الشيخ رقيب في نفس التاريخ السابق .

(٢) ينظر للمزيد عن هذه المعركة ودور المجاهدين العراقيين من عرب وكرد وتركمان والذين بلغ تعدادهم في رواية عشرة آلاف مجاهد، وقيل اثني عشر ألف، وقيل عشرين ألف، وقيل خمسين ألف، ما عدا القوات النظامية العثمانية، حيث استشهد من هؤلاء ثلاثة آلاف في أثناء معركة شرسة بطولية. نديم، حرب العراق : ص ٢٨-٢٩-٣٢ ؛ العمري تاريخ العراق ١ / ١٣.

(٣) لقاء شخصي مع الشيخ رقيب في نفس التاريخ السابق .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

قائمة المصادر والمراجع

اولاً: المصادر:

ابن الابار : محمد بن عبدالله (٦٥٨هـ/١٢٥٨م)

١. الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس – القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٣.

ابن الاثير : علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

٢. الكامل في التاريخ، بيروت ، دار صادر، دار بيروت، ١٩٦٦ الأدريسي: محمد بن محمد (ت ٥٥٨هـ/١١٦٢م)

٣. نزهة المشتاق في اختراق الافاق، قطعة منه ضمن كتاب المكتبة العربية الصقلية، جمع ميخائيل اماري، بغداد مكتبة المثنى عن طبعة ليبك ١٨٥٧.

الاسكافي : محمد بن عبد الله الخطيب (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)

٤. لطف التدبير، تحقيق احمد عبد الباقي، بغداد، مكتبة المثنى ، القاهرة مكتبة الخلنجي، ١٩٦٤.

الاصبهاني : علي بن الحسن (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)

٥. الاغاني، طبعة محمد الساسي المغربي، القاهرة، مطبعة التقدم، ١٣٢٣هـ

الاصبهاني : عماد الدين (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)

٦. جريدة القصر، وجريدة العصر، تحقيق محمد بهجت الاثري، د. جميل سعيد، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٥هـ

الآلوسي: أبو الثناء محمود (ت ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م)

٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع والمثاني، القاهرة ، المطبعة الكبرى الاميرية ، بولاق، ١٣٠١هـ.

الآمدي : علي بن محمد (ت ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م).

٨. الأحكام في اصول الأحكام ، القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

البخاري : محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)

٩. الصحيح، القاهرة، مطبوعات محمد علي صبيح واولاده، ميدان الأزهـــر، القـــاهرة، د. ت.

١٠. التاريخ الكبير، صدر اباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٦٢

البدليسي : شرف خان (ت ٩٢٧هـ/١٥٢١م)

١١. الشرفنامة، ترجمة جميل فندي روز بياني، بغداد، مطبعة النجاح ، ١٩٥٣.

ابن بشكوال : خلف بن عبدالملك (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م)

١٢. الصلة ، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦

البغدادي : اسماعيل باشا البابانى : (ت ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م)

١٣. هدية العارفين، اسماء المؤلفين واثار المصنفين، طهران، المكتبة الاسلامية، ١٣٨٧.

البغدادي : ابراهيم فصيح الحيدري (ت ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م)

١٤. عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة، بغداد، ونشورات البصري د. ت

البلوي : عبدالله بن محمد كان حياً في اوائل القرن الرابع الهجري

١٥. سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد علي، دمشق، مطبعة الترقي، ١٣٧٨هـ

البيطار: عبد الرزاق (ت ١٣٣٥هـ/١٩١٦م)

١٦. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق محمد بـــهجت البيطـــار، دمشـــق ، مجمع اللغة العربية، ١٩٦١

الترمذي : محمد بن سورة (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)

١٧. صحيح سنن الترمذي، تحقيق ناصر الدين الالباني، بـــيروت، المكتـــب الإســـلامي ١٩٨٨/١٤٠٨

ابن تغزي بردي : جمال الدين الاتابكي (ت ٧٨٤هـ/١٣٨٢م)

١٨. النجوم الزاهدة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ١٩٦٣

التنوخي : المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م)

١٩. نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، بيروت ١٩٧١/١٣٩١

ابن تيمية : احمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٧م)

٢٠. الاستقامة، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة محمد بن سعود الإسلامية ١٩٨٢/١٤٠٢

الجيرتي : عبد الرحمن (ت ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م)

٢١. مظهر التقديس بذهاب دولة العزنسيس ، تحقيق حسن محمد جوهر، عمر الدسوقي، القاهرة، لجنة البيان العربي، ١٩٦٩

ابن الجذري : محمد بن ابراهيم (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)

٢٢. حوادث الزمان وانبائه ووفيات الاكابر والاعيان من ابنائه، اختيار محمد الذهبي (المختار من تاريخ ابن الجذري) تحقيق خضير عباس المنشداوي ، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٨/١٩٨٨

ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)

٢٣. المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، بغداد، الدار الوطنية، ١٩٩٠

٢٤. مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق زينب ابراهيم القاروط، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت

٢٥. صفوة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري، حلب، دار العربي، ١٩٧٠

٢٦. المصباح المستضيء في خلافة المستضيء، تحقيق ناجية عبدالله ابراهيم، بغداد، مطبعة الشعب، ١٣٧٩/١٩٧٧

الجوهري : اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م)

٢٧. الصحاح، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين ١٣٩٩/١٩٧٩.

ابن حجر: احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)

٢٨. تهذيب التهذيب، بيروت، دار صادر عن طبعة صدر اباد الدكن ١٣٢٥

٢٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٨/١٩٥٧.

٣٠. رفع الاصر عن قضاة مصر، تحقيق حامد عبد المجيد، محمد المهدي أبو سنة، محمد اسماعيل الصاوي، القاهرة، المطبعة الاحمدية، ١٩٥٧.

الحموي: ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

٣١. معجم البلدان، بيروت ، دار صادر، ١٩٧٧.

٣٢. معجم الأدباء، بيروت، دار المشرق، د. ت

ابن خاقان : الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩هـ/١١٣٤م)

٣٣. مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٢٥هـ.

الخشني : محمد بن حارث (ت ٣٦١هـ/٩٧١م)

٣٤. قضاة قرطبة، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦.

الخطيب البغدادي: احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)

٣٥. تاريخ بغداد ، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت.

٣٦. موضح اوهام الجمع والتفريق، تحقيق عبد الرحمن يحيى المعلمي، حيدر اباد الدكن، دائرة المعارف الثقافية، ١٣٧٨/١٩٥٩.

ابن خلكان : احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)

٣٧. وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صادر ١٣٩٧/١٩٧٧.

خليفة : خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م)

٣٨. تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، النجف، مطبعة الآداب، ١٩٦٧.

الداودي : محمد بن علي (ت ٩٤٥هـ/١٥٣٨م)

٣٩. طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة وهبي، ١٣٩٢/١٩٧٢.

ابن دريد: محمد بن الحسن الازدي (ت ٣٢١هـ/٩٣٣م)

٤٠. جمهرة اللغة، بيروت ، مكتبة المثنى، د. ت.

الذهبي: محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٦هـ/١٣٤٥م)

٤١. سير أعلام النبلاء ج٧ ، تحقيق شعيب الارنؤوط، علي ابو زمع، بيروت مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

سير أعلام النبلاء ج١٥، تحقيق شعيب الارنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، بيروت ، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦/١٩٨٦.

سير أعلام النبلاء ج١٣، تحقيق شعيب الارنؤوط، صالح السمر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦/١٩٨٦.

٤٢. العبر في ضر من عبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت.

الرازي: عبد الرحمن بن ابي حاتم (ت ٣٢٧هـ/٩٣٨م)

٤٣. الجرح والتعديل، صيد أباد الدكن ، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

الرازي : محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦هـ/١٢٦٧م)

٤٤. مختار الصحاح، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٨.

ابن رستة : احمد بن عمر (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)

٤٥. الاعلاق النفيسة، منشور مع كتاب البلدان لليعقوبي، بغداد، مكتبة المثنى.

الروذ راوري: محمد بن الحسين (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م)

٤٦. ذيل تجارب الامم، تحقيق هـ ، ف امدروز، منشور مع كتاب تجارب الامم لمسكوية، القاهرة، شركة التمدن الصناعية، ١٣٣٢/١٩١٦.

الزبيدي : محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)

٤٧. تاج العروس من جواهر القاموس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٦.

السبكي: عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)

٤٨. طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، القاهرة ، عيسى البابي الحلبي وشركاوه، ١٩٧١

السمعاني : عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م)

٤٩. الانساب، تحقيق عبدالله بن عمر البارودي، بيروت، دار الجنان، ١٤٠٨/١٩٨٨.

ابن سيدة : علي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)

٥٠. المخصص، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، د. ت.

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)

٥١. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ١٣٨٤/١٩٦٤.

الشاطبي: ابراهيم بن موسى اللخمي (ت ٧٩٠هـ/١٣٨٨م)

٥٢. الاعتصام ، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، د. ت.

الشنتريني : علي بن بسام (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م)

٥٣. الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار الثقافة ١٣٩٩/١٩٧٩.

الشوكاني: محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)

٥٤. البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٤٨هـ.

الصابي : الهلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م)

٥٥. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، بيروت دار الفكر، د. ت.

٥٦. الوزراء، تحقيق عبد الستار احمد فراج، القاهرة، دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٨.

الصابي، محمد بن هلال (ت ٤٨٠هـ/١٠٨٧م)

٥٧. الهفوات النادرة، تحقيق صالح الأشتر، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٦٧.

الصابوني : جمال الدين المحمودي (ت ٦٨٠هـ/١٢٨١م)

٥٨. تكملة اكمال الاكمال، تحقيق مصطفى جواد، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

الصفدي: صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٢٤هـ/١٣٢٣م).

٥٩. نكت الهميان في نكت العميان، القاهرة، مطبعة الجمالية ، ١٩١١م.

الصولي : محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م)

٦٠. اخبار الراضي بالله والمتقى لله، تحقيق ج هيورث، ون، بيروت، دار المسيرة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

الضبي: احمد بن يحيى (٥٩٩هـ/١٢٠٢م)

٦١. بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس، بغداد، مكتبة المثنى، القاهرة، مكتبة الخانجي.

ابن طباطبا : محمد بن علي (الفه سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م)

٦٢. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، بيروت، دار صادر ، دار بيروت، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)

٦٣. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، دار المعاريف ، ١٩٧٧م.

الطرطوشي : محمد بن محمد بن الوليد (ت ٥٢٥هـ/١١٣٠م)

٦٤. سراج الملوك، القاهرة، ١٣١٩.

ابن طولون : شمس الدين (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م)

٦٥. قضاة دمشق، الثغر البسام في ذكرى من ولي قضاة الشام ، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق ، المجمع العلمي العربي، ١٩٥٦م.

ابن طيفور : احمد بن طاهر (ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م)

٦٦. بغداد، تحقيق محمد زاهد الكوثري، القاهرة، نشر السيد عزت العطار الحسني، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

ابن عبد البر : يوسف بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣هـ/١١٦٧م)

٦٧. جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، القاهرة، ادارة المطبعة المنيرية، د. ت.

ابن غداري : احمد بن محمد المراكشي (كان حيا عام ٧١٢هـ/١٣١٢م)

٦٨. البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق كولان، ليفي بروفنسال، بيروت ، دار الثقافة عن طبعة ليدت، ١٩٤٨م.

ابو العرب : محمد بن احمد بن تميم (ت ٣٣٣هـ/٩٤٤م)

٦٩. طبقات علماء افريقية وتونس، تحقيق علي الشابي، نعيم حسن تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨.

ابن العربي: محمد بن عبدالله (ت ٥٤٣هـ/١١٤٨م)

٧٠. احكام القرآن، تحقيق محمد علي البجاوي، القاهرة، دار الفكر، ١٩٧٢م.

ابن العماد: عبد الحي بن العماد (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)

٧١. شذرات الذهب في اخبار من ذهب، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٣٥٠هـ .

العمري : محمد أمين بن خير الله (ت ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م)

٧٢. منهل الاولياء ومشرب الاصفياء في سادات الموصل الحدباء، تحقيق سعيد الديره جي، الموصل، مطبعة الجمهورية، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

العمري: ياسين بن خير الله (ت ١٢٣٢هـ/١٨١٦م)

٧٣. بغية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء، تحقيق سعيد الديره جي، الموصل ، مطبعة الهدف، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

٧٤. غاية المرام في محاسن بغداد مدينة السلام، بغداد، منشورات البصري، ١٩٦٨م.

٧٥. غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، تحقيق محمد صديق الجليلي ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م.

العمري: عصام الدين بن عثمان (ت ١١٨٤هـ/١٧٧٠م)

٧٦. الروض النضر في ترجمة ادباء العصر، تحقيق سليم النعيمي، بغداد، المجمع العلمي العراقي.

الغرناطي : عبد الرحيم بن سليمان القيسي (ت٥٦٥هـ/١١٦٩م)

٧٧. تحفة الالباب ونخبة الاعجاب، تحقيق د. اسماعيل العربي، المغرب، منشورات دار الافاق الجديدة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

ابن فارس : احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)

٧٨. معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، دار الفكر ، ١٩٧٩م.

ابن مرضون : ابراهيم بن علي (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م)

٧٩. الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، محمد الاحمدي أبو النور، القاهرة، مكتبة دار التراث د.ت.

ابن الفرضي : عبد الله بن محمد الازدي (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م)

٨٠. تاريخ العلماء والرواة بالاندلس، تحقيق عزت العطار الحسني، القاهرة، مطبعة المدني، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ابن الغوطي : عبد الرزاق بن احمد (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م)

٨١. تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب، تحقيق مصطفى جواد ، دمشق، المجمع العلمي العربي، ١٩٦٧م.

الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م)

٨٢. القاموس المحيط ، القاهرة، مطبعة السعادة، د.ت.

القاضي عياض : عياض بن موسى (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م)

٨٣. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥م.

القرشي : محي الدين محمد (ت ٧٧٥هـ/١٣٧٣م)

٨٤. الجواهر المضيية في طبقات الحنفية، صيدر اباد الدكن ، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٣٢هـ.

القرطبي، محمد بن احمد الانصاري (ت ٦٧١هـ/١٢٧٢م)

٨٥. الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

القلصادي : علي (ت ٨٩١هـ/١٤٨٦م)

٨٦. رحلة القلصادي ، تحقيق محمد أبو الاجفان، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٨م.

ابن قيم الجوزية : شمس الدين ابو عبدالله (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م)

٨٧. اعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة السعادة ١٣٧٧هـ/١٩٥٥م.

٨٨. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، القاهرة، مطبعة الآداب ١٣١٧هـ.

الكتبي : محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)

٨٩. فوات الوفيات، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥١م.

اكلركوكلي : رسول (ت ١٢٤٠هـ/١٨٢١م)

٩٠. دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء، ترجمة مولا كاظم نورس، بيروت، دار الكتاب العربي، بغداد، مكتبة النهضة ، د. ت.

ابن ماجة : محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م)

٩١. صحيح سنن ابن ماجة، تحقيق ناصر الدين الالباني، بيروت المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

المالكي : عبدالله بن ابي عبدالله (ت نهاية القرن الرابع/العاشر الميلادي)

٩٢. رياض النفوس في طبقات علماء العدوان وامزيقية، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥١م.

مجهول :

٩٣. الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في اعدام المائة السابقة، تحقيق د. مصطفى جواد، بغداد، ١٩٣٢م.

المرادي : محمد خليل (ت ١٢٠٦هـ/١٧٨٥م)

٩٤. سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر، بغداد، مكتبة المثنى ، د. ت.

المراكشي : عبد الواحد (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)

٩٥. المعجب في تلخيص اخبار المعزب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

المسعودي : علي بن الحسن (ت ٣٤٦هـ/٩٧٥م)

٩٦. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، صيدا، بيروت، المكتبة المصرية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ/٨٧٤م)

٩٧. صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار احياء التراث العربي، ١٣٧٥هـ/١٩٥٧م.

المقريزي : احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)

٩٨. السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٦/١٩٤١م.

الملطي : محمد بن احمد (ت ٣٧٧هـ/٩٨٧م)

٩٩. التنبه والرد على أهل الاهواء والبدعن تحقيق محمد زاهد الكوثري ، القاهرة، مكتبة نشر الثقافة الاسلامية، ١٣٤٨هـ/١٩٤٩م.

ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري (ت ٧١١هـ/١٣١١م)

١٠٠. لسان العرب، اعداد يوسف خياط، دار لسان العرب، د. ت.

الناصري : احمد بن خالد (ت ١٣١٥هـ/١٨٩٧م)

١٠١. الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق جعفر الناصري، محمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتب، ١٩٥٤م.

النباهي : علي بن عبد الله المالقي (كان حيا عام ٧٩٣هـ/١٣٩٠م)

١٠٢. تاريخ قضاة الاندلسن بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع د. ت.

الزشخي : محمد بن جعفر (ت ٣٤٨هـ/٩٥٩م)

١٠٣. تاريخ بخارى، ترجمة عن الفرنسية د. امين عبد المجيد بدوي، نصرالله مبشر الطرازي، القاهرة ، دار المعارف، د. ت.

النووي : محي الدين (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م)

١٠٤. صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت ، دار احياء التراث العربي، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.

ابن الوردي : زين الدين محمد (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)

١٠٥. تتمة المختصر في اخبار البشر، تحقيق احمد رفعت البدرواوي، بيروت، دار المعرفة، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.

وكيع : محمد بن خلف (ت ٣٠٦هـ/٩١٨م)

١٠٦. اخبار القضاة ، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٦٦م.

اليافعي : عبدالله بن اسعد (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)

١٠٧. مرآة الجنان وعبرة اليقظان، صيدر اباد الدكن، ١٣٣٨.

اليعقوبي: احمد بن ابي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م)

١٠٨. تاريخ اليعقوبي ، بيروت، دار صادر، دار بيروت، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

ابو يعلى : محمد بن ابي يعلى الحنبلي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)

١٠٩. طبقات الحنابلة ، تحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧١هـ/١٩٥١م.

أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م)

١١٠. الخراج، بيروت، دار المعرف، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

اليوفيني : مولا بن محمد (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م)

١١١. ذيل مرآة الزمان، صيدر اباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

المراجـــــع:

احمد : عزيز

١١٢. تاريخ صقلية الإسلامية ، ترجمة د. امين توفيق، الطيبـــي، طرابلـس الغـرب، ١٩٨٠م.

اسماعيل : زيد بلال

١١٣. اربيل في ادوارها التاريخية ، النجف، مطبعة النعمان، ١٩٧٠م.

الاطرقجي : واحدة مجيد

١١٤. انصاف الخليفة الأمين بين الأدب والتاريخ، بغداد، مطبعة علاء، ١٩٨١م.

انطونيوس: جورج

١١٥. يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد، احسان عبـــاس، بـيروت ، دار العلـم للملايين، ١٩٦٦م.

بارتولد : فاسيلي فلاديمير فتش

١١٦. تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، ترجمة صـــلاح الديـن هاشـم، الكويت ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

البار : محمد علي

١١٧. المسلمون في الاتحاد السوفيتي، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٣.

البكري : عادل

١١٨. ادب الرحلات، مجلة المورد، المجلد ١٨، العدد ٤، بغداد ١٩٨٩.

حسون : علي

١١٩. محنة المسلمين في البلقان، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٩٧م.

حسين : أبو لبابة

١٢٠. أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي وكتابة التعديل والتجريح، الرياض، دار اللـواء للنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

الجاوشلي : هادي رشيد

١٢١. القومية الكردية وتراثها التاريخي، بغداد، مطبعة الارشاد، ١٩٦٧م.

جرجيس : عبد الجبار محمد

١٢٢. دليل الموصل العام، الموصل، مطابع الجمهور، ١٩٧٥م.

الجلبي : داؤد

١٢٣. مخطوطات الموصل، بغداد، مطبعة الفرات، ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م.

١٢٤. كلمات فارسية مستعملة في عامية الموصل وفي انحاء العراق، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٦٠م.

خليفات : عوض

١٢٥. نشأة الحركة الاباضية، عمان، مطابع دار الشعب، ١٩٧٨م.

خياط : جعفر

١٢٦. صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، بيروت، مطبعة دار الكتب، ١٩٧١م.

الدره : محمود

١٢٧. القضية الكردية والقومية العربية في معركة العراق، بيروت، دار الطليعة ، ١٩٦٣م.

الدملوجي : صديق

١٢٨. اليزيدية، الموصل، مطبعة الاتحاد، ١٩٤٩م.

دنفر : احمد فون

١٢٩. التحديات الثقافية المعاصرة التي تواجه الأمة الإسلامية ، عن الإسلام والحضارة ودور الشباب المسلم، ابحاث ووقائع اللقاء الرابع لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ١٤٠١هـ.

الدوري : د. عبد العزيز الدوري وآخرون.

١٣٠. تفسير التاريخ، بغداد ، مكتبة النهضة، د. ت.

الدوري : تقي الدين عارف

١٣١. صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامية، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨٠م.

الديوه جي : سعيد

١٣٢. تاريخ الموصل، بغداد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٩٨١م.

١٣٣. اليزيدية، الموصل، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٧٣.

رووف : د. عماد عبد السلام

١٣٤. الموصل في العهد العثماني، النجف الأشرف، مطبعة الآداب ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

الزركلي : خير الدين

١٣٥. الأعلام، بيروت ، ١٩٦٨م.

زكي : محمد امين

١٣٦. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ترجمة محمد علي عوني عن طبعة مصر، ١٩٦١م.

١٣٧. مشاهير الكرد وكردستان، ترجمة كريمة المؤلف، بغداد، مطبعة التفيض الأهلية، ١٩٤٥م.

الزيباري : الشيخ رقيت

١٣٨. لقاء شخصي مع الباحث بتاريخ ١٩٩٤/١١/١م.

ابو زيد : فائق

١٣٩. المجاهد بيرجيت العقراوي، بغداد، جريدة العراق البغدادية العدد ٥١٨٧ في ١٩٩٣/٢/٢٥م.

سعد : فهمي عبد الرزاق

١٤٠. العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٣م.

مشترك وآخرون

١٤١. بغداد، دائرة المعارف الإسلامية، اشترك فيها ايضا عبد الرزاق الحسني د. عبدالعزيز الدوري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة.

الصوفي : خالد

١٤٢. تاريخ العرب في اسبانيا، حلب، دار الشرق، د. ت.

الطائي : دنون يونس

١٤٣. الاتجاهات الإسلامية في الموصل في اواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني ، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٠م.

طه : د. عبد الواحد ذنون

١٤٤. دراسات في التاريخ الأندلسي، الموصل جامعة الموصل، ١٩٨٧م.

عبدالرزاق: زاهدة عبدالله

١٤٥. الخليفة العباسي محمد الأمين، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة الى كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

العباسي : محفوظ

١٤٦. امارة بهدينان العباسية، الموصل، مطبعة الجمهورية، ١٩٦٩م.

عبد الكريم : د. احمد عزت

١٤٧. دراسات في تاريخ العرب الحديث، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٠م.

العمري : د. اكرم

١٤٨. قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي، قطر، كتاب الأمة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

العمري : محمد أمين

١٤٩. حرب العراق خلال الحرب العظمى ١٩١٤-١٩١٨، بغداد، المطبعة العربية ، ١٩٣٥م.

عنان : عبدالله

١٥٠. دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المارطي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٥١. نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٠٨هـ/١٩٧٨م.

عون : عبد الرووف

١٥٢. الفتن الحربي في صدر الإسلام، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦١م.

فرّوخ : د. عمر

١٥٣. تاريخ الأدب العربي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

فهد : د. بدري محمد

١٥٤. تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير، بغداد، مطبعة الارشاد، ١٩٧٣م.

الكتاني : د. علي المنتصر

١٥٥. الصحوة الإسلامية في الأندلس جذورها ومسارها خطر، كتاب الأمة، ١٩٩١م.

كوك : ريحارد

١٥٦. بغداد مدينة السلام ، ترجمة وتعليق فؤاد جميل ود. مصطفى جواد ، بغداد، مطبعة شفيق، ١٩٦٢م.

لويس : د. برنارد

١٥٧. اسطنبول وحضارة الامبراطورية العثمانية ترجمة سيد رضوان علي بنغازي، منشورات جامعة بنغازي، ١٩٧٣.

المحافظة : د. علي

١٥٨. الاتجاهات الفكرية عند العرب، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٧٥م.

النجار : د. محمد رجي

١٥٩. الشطار والعيارين ، الكويت، دار السلاسل، ١٩٨٩م.

نديم : شكري محمود

١٦٠. حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨، بغداد، شركة النبراس للنشر والتوزيع، ١٩٥٤م.

نوري : دريد عبد القادر

١٦١. سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة، بغداد، مطبعة الارشاد، ١٩٧٦م.

نيكتين : باسيل

١٦٢. الأكراد، ترجمة طائفة في الأكراد، بيروت، دار الروائع، ١٩٥٨م.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
واقعنا المعاصر	٧
الفقه المطلوب	٧
لمحة تاريخية	٩
* سهل بن سلامة الأنصاري وحركة الموطوعة	١٩
- ظهور سهل بن سلامة الأنصاري	٢٦
* أحمد بن نصر الخزاعي	٣٤
* أسد بن الفرات	٤١
* الإمام أحمد السرماري	٤٧
* بكار بن قتيبة	٥٠
* محمد بن أبي الحسام طاهر القيسي	٥٥
* أو الحزم جهور بن محمد القرطبي	٥٨
* الوزير خير الدين أبو شجاع الروذاروري	٦٣
- عفته ونزاهته	٦٧
- الوزير أبو شجاع بعد عزله	٦٨
- أبو شجاع مؤرخاً وأديباً	٦٩
* موفق الدين الكواشي	٧١
* الإمام الأذرعي	٧٤
* أحزد بن الكولة	٧٦
* المجاهد الزاهد بيرجيب الزيباري	٧٩
- نسب العائلة وعلاقتها مع حكام المنطقة	٧٩
- ولادته نشأته	٨٠
- المجاهد بيرجيب يذهب لجهاد الفرنسيين في مصر	٨١
- بيرجيب مجاهدا في جبل سنجار	٨٤
- بيرجيب كان صوفيا خادما لمجتمعه	٨٥
- أحفاد بيرجيب في سوح الجهاد	٨٥
المصادر والمراجع	٨٧
الفهرس	١٠٣

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفقهاء والسلطة
وصناعة الحياة

الدكتور
رعد محمود أحمد البرهادي

دار الكتاب الثقافي
للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان
الأردن - إربد - شارع الجامعة
تلفاكس ٠٠٩٦٢٢٧٢٥٠٣٤٧
٠٠٩٦٢٢٧٢٦١٩١٩

دار المنير

دار الفكر

Nosheen Design 02 727 88 55